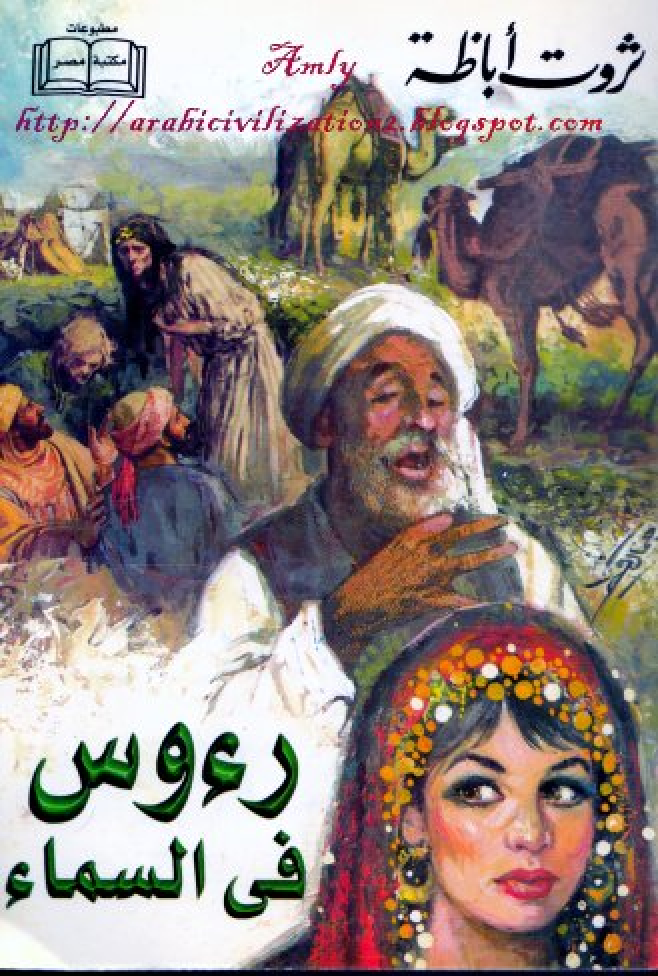


Amly
http://arabicivilizations2.blogspot.com

مطبوعات مكتبة مصر

رءوس فى السماء

تأليف

ثروت أباظة

Amly

http://arabicivilization2.blogspot.com

الناشر
مكتبة مصر
سعيد جودة السحار وشركاه
٣ شارع كامل صدقى - الفجالة
ت: ٩٠٨٩٢٠

مقدمة

إن التقديم لكتاب أمر فى غاية التعقيد للكاتب ، وهو أكثر تعقيدا إذا كان الكاتب يقدم لعمل له ، ويزداد الأمر سوءا إذا كان هذا العمل الذى يقدم له عملا فنيا . وقد ظللت عمرى أعتقد أن الكاتب الذى يقدم لعمل فنى له ، كأنه يعلن القراء بشىء من شيئين : إما أنه عجز عن قول ما يريد قوله بعمله الفنى المجرد ، وإما أنه يعلن القارئ بأنه لن يستطيع التغلغل إلى أعماق فنه ليصل إلى المعانى العميقة التى يحتويها هذا العمل . ولست أدرى أى الإعلانين أكثر سخافة من صاحبه .

ولكننى مع ذلك أعتقد أن هذا العمل الذى بين يديك يحتاج إلى تقديم ، فهى المرة الأولى التى ألتقى فيها بك بعمل مثل هذا ، فهذه تمثيليات إذاعية كتبتها جميعا لتذاع . والتمثيلية الإذاعية ـ كما تعرف ـ تعتمد على الأذن ، فشأنها شأن الأغنية النص فيها جزء من العمل وليس العمل كله . فالنص الروائى أو نص القصة القصيرة نص تكتمل جوانبه بمجرد انتهاء الكاتب منه ، أما النص الغنائى والإذاعى فنص تبدأ مقدماته بانتهاء الكاتب منه ، ويظل ينتظره بعد ذلك المخرج أو الملحن والممثلون أو المغنى . ولكن أليس هذا شأن الأعمال الدرامية جميعها ؟ وهل هناك ما يمنعك أن تقرأ القصيدة الغنائية وتستمتع بها دون اللحن والأداء ؟ أو هل هناك ما يمنعك من قراءة المسرحية والاستمتاع بها دون الإخراج والتمثيل ؟

بل إن جان بول سارتر يذهب إلى أبعد من هذا ، فيقدم إليك فى كتاب مقروء (سيناريو) أعده للسينما ، وقد قرأته أنا واستمتعت به غاية الاستمتاع .

ألا ترى معى أن العمل الجيد حبيب إلى النفس ، مهما يكن الشكل الذى يقدم إليك فيه ؟ وأرجو ألا تعتقد أننى أزكى عملى لديك ، فما أحسست بالخوف منك قدر خوفى وأنا أقدم إليك هذا الكتاب بين يديك ، ومصادر الخشية كثيرة !

فقد كنت أكتب هذه التمثيليات وأنا لا أفكر إلا فى أذنك ، والأذن لا تمسك بالكلمة وإنما تسمعها وتلقى بها فى سرعة خاطفة إلى العقل الذى ما يلبث أن ينتظر الكلمة التالية . ثم هأنذا أقدمها إلى عينك الواعية لتنعم فيها النظر ثم تنعم ، وتعرضها بعد ذلك على عقلك فى هدوء واطمئنان ودعة ، ويروح عقلك يفكر فيها لا يشغله شيء . ولا بأس عليه أن يقبل الوقوف ويطيله وماذا وراءه ؟.. الكتاب فى يده ويستطيع الكتاب أن ينتظر الأجيال ، فأنا هنا ألتقى بك فى موقف لم أعد نفسى له ، وكل ما أتمناه أن أنجو من سخطك لأفوز ببعض من رضائك ، أو لأفوز ـ على الأقل ـ بالنجاة من السخط .

وأنا أخشى أيضا من الجملة التى كنت أتوخى فيها شيئا من الموسيقى اللفظية لعلها ترضيك عند السماع ، ولا أدرى كيف ستستقبلها عند القراءة ؟

وأخشى من الانتقالات السريعة التى تعتمد عليها التمثيلية الإذاعية ، ولم تألفها التمثيلية المقروءة .

أشياء كثيرة أخشاها ولكن ألا تخف الخشية بكل تجربة جديدة ؟ وإنى أجرب معك هذه التجربة ، وفى التجربة يجب أن يتكاتف مقدم التجربة مع متلقيها . فما عليك لو أنك أعنتنى بالصبر تكافئ به هذه الخشية التى أحسها منك ؟

ولقد شجعنى على القيام بهذه التجربة اللغة التى كتبت بها هذه التمثيليات ، فاعتقادى أن النص إذا كان مكتوبا باللغة العامية يصبح من العسير تقديمه فى كتب . فإن وجود لغتين فى أدبنا يضيع على هذا الأدب كثيرا مما هو جدير بالنشر . فمهما يدافع كتّاب العامية عنها فإنهم لم يستطيعوا حتى الآن أن يقنعوا

القارئ أن يقرأ الأدب العامى . لا يستطيع القارئ أن يقرأ العامية ، فهى مقروءة تصبح بالنسبة إليه لغة جديدة ، ولعل هذا هو السبب فى أن كتاب التمثيلية الإذاعية لم يقبلوا على نشرها .

وقد شجعنى على تقديم هذا الكتاب إليك أننى كتبت التمثيليات جميعها باللغة العربية ، ولن تجد تنافرا بين الشخصيات واللغة التى يتكلمون بها ، فهم جميعا يعيشون فى أزمان كان الكلام المنطوق فيه عربيا خالصا .

وشجعنى أيضا أننى قلت فى نفسى إن التمثيلية الإذاعية تعتمد على الأذن وحدها حين يستقبلها المستمع ، ثم هو يهيئ بعقله وخياله المنظر والحركة . فماذا عليه لو أبدل الأذن بالعين وأبقى على عقله وخياله فى إنشاء المنظر وتأليف الحركة ؟ فالقارئ للتمثيلية الإذاعية مؤلف مع المؤلف ، كما أن المستمع لها يؤلف مع المؤلف .

لعلك أحسست من هذه المقدمة أننى أحاول أن أشجع نفسى على تقديم هذا الكتاب إليك . لا تكذب إحساسك ، فإن هذا ما أحاول أن أقوم به ، فإن رضيت فشكرا لله ، وإن لم فما علىّ بأس أننى حاولت وما التوفيق إلا من عند اللّه .....

ثروت أباظة

****

الفصل الأول

رءوس فى السماء

المذيع : **فى قصر الخليفة " أبو جعفر المنصور" يجلس بين خاصته الأقربين . إنهم يزنون كل كلمة ويتحسسون كل حرف .. إنه أبو جعفر المنصور مؤسس الدولة العباسية .. شديد كريم فى شدته .. قاس رحيم فى قسوته .. عادل جبار فى عدله .. احذروا .. احذروا أن تغضبوه أيها القوم .. إنه المنصور .. إن الباب ليفتح .. إنه عبد الخليفة ، ماذا يقول ؟**

الخادم : رجل يقول إنه من الشام يلتمس الإذن بالدخول فى خطير من الأمر .

الخيلفة : أوتعرفه ؟

الخادم : لا يا مولاى لم أره قبل اليوم ، ولكن وجهه ينبئ عن جليل .. آذن له ؟

الخليفة : ائذن ...

أحد الجالسين : ألا يأذن مولاى لأحدنا يراه فيسأله عما يريد ؟

الخليفة : بل أراه أنا فما فى ذلك ضير .

الخادم : **(معلنا)** إبراهيم بن على من الشام .

إبراهيم : جئت يا مولاى فى أمر أراه جد خطير .

الخليفة : نعم ، إنى أرى دلائل خطورته فى عينيك .. أدلِ به.

إبراهيم : أُدلى به على انفراد يا مولاى .

الخليفة : و لم ؟

إبراهيم : هو السر وأخشى أن يذيع .

الخليفة : إن من ترى هم حفظة سرى .

إبراهيم : ولكنه سرى يا مولاى ، وأخشى عليه أن يذيع .

الخليفة : حسنا إذن .

أصوات : أتأذن لنا يا مولاى ؟

الخليفة : لا بأس بكم ، انتظرونى فى الحجرة المجاورة **(بعد فترة يسمع فيها أصوات خروج القوم وإقفال الباب)** .

الخليفة : هات ما عندك .

إبراهيم : أنت يا مولاى تؤسس الدولة العباسية فتوطد أركانها ، وقد سمعت أن مولاى فى حاجة إلى المال ؟

الخليفة : نعم ، لقد أنفقت أموالا كثيرة .

إبراهيم : فى الشام رجل يدعى محمد بن القاسم ، لديه من المال ما تريد .

الخليفة : ويحك يا رجل .. أتريدنى أن أسلب الناس أموالهم ؟

إبراهيم : حاشاك يا مولاى والعدل أساسك ، ولكن هذه الأموال ليست ملكا لابن القاسم هذا .

الخليفة : فلمن هى ؟

إبراهيم : هى أموال بنى أمية استأمنوا هذا الرجل عليها ، فهى فى بيته ، إن أمر بها مولاى حملت إليه .

الخليفة : وأنت ما نفعك ؟

إبراهيم : إن هذا الرجل يا مولاى قد أخذ يجمع الناس منذ أيام ، وقد ذهبت فيمن ذهب . إنه يدعوهم إلى الثورة يا مولاى ، وإن عنده من الأموال ما يقيم به ثورات لا ثورة ، وخشيت أن يشعلها فتنة لا تخمد فقصدت إليك تخمدها وهى بعد ما تزال هينة .

الخليفة : **(يصفق)** يا مرجان ، ادع حمدان رئيس الشرطة .

مرجان : أمر مولاى .

الخليفة : وأنت يا إبراهيم انزل ضيفا على قصرى .

(موسيقى)

مرجان : حمدان رئيس الشرطة يا مولاى .

الخليفة : أريد نفرا من جندك الأقوياء ليذهبوا إلى الشام . هناك رجل عنده أموال ليست ملكا لابن القاسم هذا ..

المذيع : **يا لك من مسكين يا بن القاسم ، ترى أتدرى إلى أى دوامة ألقى بك القدر ؟ إنه أبو جعفر المنصور .. نعم معذور أنت حين تجلس إلى زوجك هذه الجلسة الهادئة ، ترسل نفسك على سجيتها وشريكة حياتك إلى جانبك تغمرك بفيض كريم من حنوها ، فإذا أنت فى هدوء سابغ وسعادة وهناء .. معذور أنت فما تدرى بعد أى لقاء ينتظرك وأى رجل ؟**

الزوجة : لقد أسرفت على نفسك يا أبا القاسم فإنى لأراك مربد الوجه كعهدى بك إذا نال النصَب من نفسك .

ابن القاسم : إنه خازنى .

الزوجة : صديقك الذى جعلته خازنك المشرف على تجارتك ؟

ابن القاسم : ومن غيره ؟ لقد تهيأت لى فرصة فما أدرى ألعنها أم أحمدها ؟ لقد كشفت فيه عن سارق حقير ولو كان قد سألنى ما سرق ما منعته ؟

الزوجة : إنها النفس الوضيعة يا بن القاسم وما لك فيها من يد .. كم دينارا سرق منك ؟

ابن القاسم : ليس المال ما آلمنى ، ولكنها صداقة تخان وأمانة تهتك ونفس تنحط .

الزوجة : وماذا فعلت به ، أسلمته للشرطة ؟

ابن القاسم : أهكذا تعهديننى أسلم صديقى للشرطة ؟

الزوجة : بل تسلم خائن الأمانة .

ابن القاسم : أولست أنا من ائتمنه ؟

الزوجة : أوتسكت إذن ؟

ابن القاسم : وماذا أفعل ؟

الزوجة : حقا ما تفعل .. أنت ابن القاسم لا تفعل شيئا . ولكن لو كان غيرك فى مكانك ..

ابن القاسم : ولكن غيرى لم يكن فى مكانى .

الزوجة : نعم أنت على حق لقد كنت فى مكان نفسك .. لعلك أيضا لم تسأله لم سرق ؟.. ولعلك أيضا أعطيته شيئا على سبيل المكافأة !

ابن القاسم : بل سألته هل سرقته ؟ فقال : نعم مبلغا احتجت إليه ، قلت : فخذ هذا عليه أيضا واترك خدمتى .

الزوجة : اللّٰه .. اللّٰه ما أضيعك لحق نفسك .

ابن القاسم : بل ما أحفظنى لحق الصديق .

الزوجة : ما أبصرك فى معاملة الخائن .

ابن القاسم : بل ما أقسانى فى معاملته .. ما كان لى أن أفضح فعلته .

الزوجة : وحق أولادك لا تزد كلمة .. لقد كدت أجن .. قم على بركة اللّٰه فأصب بعض النوم بعد أن أصابك هذا النصب من الضمير .. قم فنم .. أو انتظر حتى آتيك بشىء من الطعام أعددته لك .

ابن القاسم : ما أخلصك ! علىّ به .

قرع شديد على الباب

صوت : باسم أمير المؤمنين أبى جعفر المنصور افتحوا الباب .

(جونج)

ابن القاسم : السلام على أمير المؤمنين .

الخليفة : لا سلام عليك يا بن القاسم .

ابن القاسم : سبحانه وتعالى .. لقد قال : وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها .

الخليفة : أو ردوها .

ابن القاسم : أراك فهمت من الرد عدم السلام ؟

أمير المؤمنين : على الخائن نعم .

ابن القاسم : رضى اللّه عن عمر .. لقد قال "البينة على من ادعى" .

الخليفة : واليمين على من أنكر .

ابن القاسم : فأين البينة ؟

الخليفة : فهل تقسم ؟

ابن القاسم : وهل أنكرت ؟

الخليفة : فأنت مقر ؟

ابن القاسم : فهل ادعيت ؟

الخليفة : أتكذبنى ؟

ابن القاسم : فيم يا مولاى .. أنا لا أعرف جريمتى ؟

الخليفة : لا تعرفها .. ففيم كلامك ؟

ابن القاسم : أنا لا أتكلم ، بل أجيب .

الخليفة : ألا تعرف فيم جئت من بلادك إلى هنا ؟

ابن القاسم : بل أعرف أن أمير المؤمنين أعزه اللّه أمر بى فجئت .

الخليفة : ألا تعرف أنك جئت لأسألك عن أموال بنى أمية التى تخفيها

عندك ؟

ابن القاسم : أو تهمة هذه يا مولاى ؟

الخليفة : إن شئت أن تسميها كذلك فسمها .

ابن القاسم : فإن كان عندى مال ؟

الخليفة : فأنا أريده .

ابن القاسم : أدامك اللّه .. أوارث أنت لبنى أمية ؟

الخليفة : بل القيم على أموال المسلمين .

ابن القاسم : أدام اللّه الأمير ! فإن بنى أمية تجار عادت عليهم التجارة بالربح الأوفر .

الخليفة : أعلم ذلك ، ولكن ما شأنه وما نحن فيه ؟ كانوا أغنياء نعم .

ابن القاسم : رعى اللّه الخليفة فكيف يعرف أن المال الذى عندى من خالص ملك المسلمين وليس ملكا خاصا لبنى أمية ؟

الخليفة : الحرب تهدد المسلمين ونحن فى حاجة إلى المال .

ابن القاسم : أخون الأمانة إذن ؟

الخليفة : هذا شأنك .

ابن القاسم : بل شأنك ، فماذا أنت قاض إن حملت أمامك متهما بخيانة الأمانة ؟

الخليفة : خيانة الأمانة أكرم من خيانة الوطن .

ابن القاسم : ليس للكرامة شأن بالخيانة على أى نوع لها .

الخليفة : احمل هذا المال إلىّ لقد سئمت اللجاجة .

ابن القاسم : أهو أمر خليفة أم أمر قاض ؟

الخليفة : بل أمر مسلم يدافع عن دينه .

ابن القاسم : تدافع عن دينك بالخروج عليه ؟

الخليفة : ماذا تقول أيها الرجل ؟

ابن القاسم : عفوا مولاى إنه الحق .

الخليفة : وما أدراك أنه الحق ؟

ابن القاسم : إن كنت مخطئا ، فسل قاضى القضاة وحكمه فيصل .

الخليفة : **(يلتفت إلى القاضى)** ماذا تقول أيها القاضى ؟

القاضى : أرى يا مولاى أن الرجل محق فيما يذهب إليه .. لا يخلص هذا المال إليك إلا عن طريق عادل أبدا .

الخليفة : إنه مال الخونة .

القاضى : لا يصادر الشرع مال الخونة .

الخليفة : لقد خرجوا على الشرع .

القاضى : بل خرجوا على بنى العباس وحتى لو كانوا خرجوا على الدين . أرأيت النبى يأخذ من الكفرة غير الجزية ؟.. لقد كان فى نطقهم بالشهادة الموحدة خلاص لهم من دفع الجزية .

الخليفة : أأترك الخونة يعبثون بالأموال فى بلاد اللّه ؟

القاضى : إن اللّه يأمر بالعدل والإحسان وليست مصادرة أموالهم من هذا فى شىء .

الخليفة : ولكننى أريد هذا المال .

القاضى : فمر به أمر من لا ينظر إلى العدل .

الخليفة : وماذا يقول الشرع ؟

القاضى : الشرع يقول : ما جاء عن طريق محرم فهو محرم ومرتكبه آثم .

الخليفة : فالمال له ؟

القاضى : له ومن بعث محمدا بالحق .

ابن القاسم : ليس لى يا مولاى فلست فى حاجة إليه ، ولكنه لبنى أمية .

الخليفة : لك أو لهم إن الأمر لم يعد يهمنى ، ولكن أتظننى تاركك تعبث فى الأرض وتشعلها ثورات ؟

ابن القاسم : فماذا أنت فاعل بى يا مولاى ؟

الخليفة : سأسجنك .

ابن القاسم : وتهمتى ؟

الخليفة : إشعال الثورات فى الشام وتأليب على حكم العباسيين والتحيز لبنى أمية .

ابن القاسم : فهل عند مولاى دليل لأى تهمة من هاته التهم ؟

الخليفة : لقد أدلى لى بذلك من لا تكذب شهادته .

ابن القاسم : آآخذ بشهادة واحدة من شخص لا أعرف حتى اسمه ؟

الخليفة : ذلك شأنى .

ابن القاسم : ولكنك خليفة اللّه فى الأرض .

الخليفة : لقد أسمحت لك فى المال ، فأما أن أتركك فدون هذا الموت .

ابن القاسم : الأمر لك فى ذلك ، ولكن لى عيالا وزوجة ، ألا يسمح مولاى بمن يخبرهم ؟

الخليفة : ولا هذا فإن سجنك لن يطول ، وسوف أتحرى أمرك حتى أتبين جلاءه ، فإن كنت بريئا أطلقتك ، وإن أدانتك الحجة قتلتك .

ابن القاسم : هيأ اللّه لك السبيل العادل ، وكشف لك من أمرى ما استتر .

الخليفة : يشرفك أن ينكشف ما استتر ؟

ابن القاسم : كل الشرف .

الخليفة : حسنا إذن .. على بحمدان رئيس الشرطة .

خادم : أمر مولاى .

الخليفة : سوف أبقيك عنده حتى يبين أمرك .

الخليفة : يا حمدان ، إن هذا الرجل أسيرك ، إن هرب فقدت حياتك .

حمدان : من **(فى لهجة من عرف شخصا)** أنت ؟

الخليفة : أتعرفه ؟

حمدان : **(متلجلجا)** لا .. لا يا مولاى لا أعرفه .

الخليفة : حسنا إذن ، سر برجلك وحذار يا حمدان .. حذار أن يفلت .

حمدان : يفلت .. وعمرى يا مولاى **(يقفل الباب)**

موسيقى وبعد فترة

الخليفة : أين سجينك يا حمدان ؟

حمدان : أطلقته يا مولاى .

الخليفة : أطلقته .. ولم يهرب ؟

حمدان : أطلقته ولم يهرب . أطلقته يا مولاى .

الخليفة : حياتك دونه .

حمدان : وحياتى ملكك .

الخليفة : ويلك ! أبعد صادق خدمتك لى تخون أمرى ؟

حمدان : بل فعلت ما أوجب على كريم خلقك .. فعلت ما لم أفعله لقتلتنى .

الخليفة : ولكننى قاتلك بما فعلت ؟

حمدان : أحبب بها قتلة !

الخليفة : ويحك إن لك لشأنا !

حمدان : وأى شأن . خرجت من عند مولاى ومعى أسيرى .

(موسيقى تدل على انقضاء فترة)

حمدان : مرحبا ابن القاسم نزلت سهلا .

ابن القاسم : مرحى بك حمدان .. أى سهل ذلك الذى نزلت ؟ هل بعد هذا الوعر وعر ؟ شك ولا خيانة وسجن ولا تهمة . خليفة قاس يشيد ملكه فهو أخشى ما يكون عليه ، وصديق غادر يتجاهل صديقه وهو أحسن الناس معرفة به .

حمدان : أنت محق فى كل ما تذهب إليه ، ولكن أين الصديق الذى تجاهل صديقه ؟

ابن القاسم : حقا إن أحدا من الناس لا يمكن أن يعرف نفسه .. أتجاهل هذا يا حمدان أم جهل ؟

حمدان : جهل .

ابن القاسم : ألا تعرف الصديق الذى تجاهل صديقه ؟

حمدان : لعلك تعنينى .

ابن القاسم : وهل هناك غيرك ، ألم تتجاهلنى الآن أمام الخليفة ؟

حمدان : ألم تدر ما قصدت إليه بذلك ؟

ابن القاسم : أقسمت لم أدره .

حمدان : إنك أذكى من هذا .

ابن القاسم : يجول بذهنى أمر .

حمدان : هو ما يجول بذهنك قله .

ابن القاسم : لك الخير أتطلقنى ؟

حمدان : وما فى ذلك ؟ نعم فأنت طليق .

ابن القاسم : إى والله إنه السهل الذى نزلت به .. ورأسك ؟

حمدان : فداك .

ابن القاسم : حمدان .

حمدان : نعم يا بن القاسم فداك رأسى .

ابن القاسم : ولكن الأمر لا يستقيم .

حمدان : بل يستقيم ولا تناقش .. اذهب ... اذهب فأنت طليق .

ابن القاسم : لست فاعلا يا حمدان .. لست فاعلا .

حمدان : إن لم تفعل قتلت نفسى بين يديك ـــ أأحمل جميلا ولا أرده ؟ اذهب يا بن القاسم .. اذهب أقسمت عليك .. أقسمت .

ابن القاسم : أقسمت أنا لا تقسم فأنا ذاهب .. ذاهب يا حمدان ولن أنسى ..

حمدان : فى حفظ الله .

ابن القاسم : وبقيت فى حفظه .

(تنتهى الموسيقى)

حمدان : وهكذا يا مولاى أطلقت الأسير .

الخليفة : أجننت يا حمدان ؟ أتقص على هذه القصة ولا أدرى سبب إطلاقك له ؟.. إلا أنه رفض أن تطلقه .

حمدان : ليس هذا يا مولاى .

الخليفة : فلأنك تعرفه ؟

حمدان : نعم مولاى هو ذاك .

الخليفة : الله الله فى الخلافة أصبحت معرفتك بشخص كافية للخروج على أمرى .

حمدان : معاذ الله يا مولاى ، مر بأولادى أقتلهم بين يديك .

الخليفة : تكلم إذن ، ما الذى حملك على ما فعلت ؟

حمدان : قصة طويلة يا مولاى .

الخليفة : قصها .. قل .

حمدان : تذكر يا مولاى يوم أرسلتنى إلى الشام فى حملة تأديبية .. كان الجنود معى قلة ، وكنت قد أرسلت أطلب المدد ، وقبل أن يصل هجم الأعداء هجمة شديدة مزقت القلة الضعيفة التى معى ، وأزمع الأعداء قتلى فجريت فى الأزقة وهم خلفى ولا أعرف أين أختفى حتى صادفت بابا .. هو باب .. هو باب ابن القاسم هذا .. بابه يا مولاى دخلت إليه .

(موسيقى)

ابن القاسم : عرفت المنزل يا أخا العرب .. ادخل هنا .

حمدان : يجدوننى .

ابن القاسم : ادخل سوف أمنعهم .

حمدان : ليس لك بهم طاقة ، إنهم العدد الكثير .

ابن القاسم : حسنا .. حسنا .. ادخل حتى أقفل الباب بالمزلاج .

(صوت باب يقفل يتبعه لغط كثير)

أصوات : نعم رأيته يدخل هذا البيت .

صوت : أين الرجل يا بن القاسم

صوت : الذى دخل هنا .

ابن القاسم : لم أره .

صوت : لقد رأيناه .

ابن القاسم : كذبت رؤيتكم .

صوت : نفتش البيت حجرة حجرة .

ابن القاسم : أمن حقكم هذا ؟

صوت : بل هو واجبنا .. إنه قائد الحملة التأديبية .

صوت : أسلمه لنا يا بن القاسم لنؤدبه نحن .

ابن القاسم : كرما منى أترك البيت ... فتشوا فإن وجدتموه فهو لكم .

صوت : ابحث فى هذه الغرفة .

صوت آخر : وأنت فنقب هذه الحجرة .

صوت : وأنت فاذهب إلى أعلى المنزل .

أصوات : لم نجد أحدا .. إنه ليس هنا .

صوت : بقيت هذه الحجرة افتحها .

(صوت محاولة لفتح باب)

ابن القاسم : اقصروا .. إن زوجتى هنا .

صوت : لا بد أن ندخل الحجرة ولتحجب زوجتك .

الزوجة : **(يظهر صوتها خارجا من خلف الباب)** اخسئوا أيها الرجال ! كيف يذهب بكم الظن أن أدخل غريبا إلى حجرتى وأبقى معه وزوجى بالمنزل وأنا من تعرفون جميعا نسبها . ألا تخجلون ؟ تسبوننى فى منزلى ؟

صوت : لقد ألقمتنا ما لا طاقة لنا به ... إنها على صواب .

آخر : لا شك فى ذلك لقد أخطأنا فى شأنها .

آخر : فماذا تنتظرون إذن ؟ هيا اتركوا منزل الرجل . إن ابن القاسم لأعز علينا من أن نغضبه .

آخر : لا بد أن الرجل قد ذهب إلى منزل آخر .

آخر : فيم بقاؤكم إذن ؟ هلم بنا ..

أصوات : **(خارجة)** هلم .. هلم .

حمدان : أنقذتنى أنقذك الله .

الزوجة : لا تقل .. إن هذا بيت الغريب .

حمدان : نعم إنه البيت .. ملجأ الملتجئ وحمى المحتمى . أبقاك الله لزوجك وأبقى لك زوجك ، ومد عليكما فى هذا البيت ظلال الخير المقيم وشعاع البركة الدائمة ... أبقاكم الله .

(موسيقى)

حمدان : وأنقذت - يا مولاى - وكان هذا الرجل الذى عهدت إلى به هو من أنقذنى ولم أره قبلها .. أدخلنى إلى حجرة زوجته وهو لا يعرفنى ، وأنقذنى من موت محقق وهو لا يعلم منى شيئا غير ما قلته .. أفلا أطلقه ؟.. ألا أرد المعروف بشىء منه ؟

الخليفة : وتخالف أمرى ؟

حمدان : بل أطيعه .

الخليفة : أتطلق الرجل وتطيعنى ؟

حمدان : أطيع روح أوامرك وأخالف صريحها .

الخليفة : أو تأمر روح بشىء يخالف صريحها ؟

حمدان : يا مولاى ، إنك لم تعرف ما فعله لى هذا الرجل ، فإذا أنا أطلقته فمعتمد على خلق كريم فيك يأبى أن أبقى المعروف على كتفى لا أزيح بعضه منه .. كنت واثقا أنك حين تعلم ما فعله هذا الرجل لأجلى ستعفو عنه ..

الخليفة : ولكنه أمر رئيس وأنت رجل حرب .

حمدان : ولكن الرئيس أبو جعفر ، وأنا إنسان قبل أن أكون رجل حرب .

الخليفة : ما هكذا تقوم الدول .. سأسجنك حتى أرى فى أمرك .

حمدان : القتل أهون يا مولاى .. أيقوم بحراستى من كنت رئيسا له ؟

الخليفة : أقتلك إذن ؟

حمدان : ذلك شأنك ، منذ متى كنت ملكا لنفسى ؟ لقد عشت سيفا لك إن شئت رميت بى أعداءك أو شئت أعدمتنى أو شئت حطمتنى .

صوت : بل تبقى فى يده يحطم بك أعداءك ويذود بك عن الدين ، ولا زلت السيف المشرع فى سبيل اللّٰه .

(موسيقى)

حمدان : من .. ابن القاسم .. ماذا أتى بك ؟

ابن القاسم : رأسك .. أفصلها عن جسدك لأنعم أنا بالحرية ؟

الخليفة : إنك واللّٰه لرجل .. فمن أدراك أنى لن أقتلك ؟

ابن القاسم : وما أدراك يا مولاى أنى أطمع فى عفوك ؟

الخليفة : لا واللّٰه لا أقتلك أبدا .

ابن القاسم : فاعلم إذن يا مولاى أنه لا مال عندى لبنى أمية ، وإنما أنا عباسى معروف بنسبتى لك .

الخليفة : ويحك لِمَ أخفيت هذا ؟

ابن القاسم : إن كنت أخبرتك به تصدقنى ؟ وإن كنت قلت لك أن لا مال عندى لبنى أمية كنت تصدقنى ؟

الخليفة : كنت أبحث .

ابن القاسم : وإذا لم تجد ؟.. إنما كنت تعتقد أننى أخفيت المال فى مكان لا تصل إليه يمين .. لا يا مولاى إنما جئت أدافع الحجة بالحجة والدليل بالدليل ، وأنت العدل العادل ...

الخليفة : إنك واللّٰه لأكثر عقلا من أن تقيم ثورة .

ابن القاسم : لى رجاء .

الخليفة : قله .

ابن القاسم : من الواشى ؟

الخليفة : رجل من الشام يدعى إبراهيم بن على .

ابن القاسم : لقد كان خازنا لى صديقا .. اختلس منى بعض المال فأخرجته وأعطيته بعضا آخر .

الخليفة : اسمع أيها الرجل ، لقد جعلتك خازنا لأموال الدولة وجعلت هذا الواشى بيدك فافعل به ما تريد .

ابن القاسم : إلا هذا يا مولاى فإن له أولادا وزوجة .. أبقه يجر عليهم الرزق ، أجرى اللّٰه بالخير يمينك .

الخليفة : كما تشاء أيها الكريم ، وإذا أردت أمرا فبحسبك أن تعرف أنك صديق الخليفة .

ابن القاسم : وحسبى شرفا .. أنا عبد الخليفة ملك يمينه ناشر فضله ذاكر معروفه ، مهتد بهديه ملتمس رضاه .. سلام على أمير المؤمنين .

المذيع : **هكذا .. أيها الرجل ، وهكذا أيها القائد ، وهكذا أيها الخليفة . بكم وبأشباهكم إن كان لكم أشباه تقوم الدول ويعلو البناء ويشتد الأزر وترتفع الهامات .. إنه الإباء .. إنه الترفع .. إنها الرجولة .. إنها الكرامة .. إنها .. إنها رءوس فى السماء .**

* * *

الفصل الثانى

« الروح والشيطان »

سيف : (**هامسا فى حذر**) بروحى أنت إمامة قصدت إلىّ والليل محاصر الجوانب بأشعة القمر ، والعيون حوالينا مفتحة تعد علينا الخلجات .

إمامة : لا تخش العيون يا سيف ، فالعيون لا ترى إلا ما نبديه .. أما ما تنضم عليه قلوبنا فهيهات للعيون أن تراه .

سيف : وكيف خرجتِ ، ألم يرك أبوك ؟

إمامة : لا ... لم يرنى ... وكيف تعتقد أنى أتأخر عن مكان أنت فيه ... اللّه لى يا سيف أنت لا تحبنى ؟

سيف : لا أحبك ويلى ؟ ويلى من نفسك إن كنت لا أحبك ، نهارى ظلام ما دمت بعيدا عنك ، وليلى شوك ما دمت لم أرك فيه ، وفؤادى ممزق ما دمت لم ألاقك ، والناس بأجمعهم مهما يشتد بهم الزحام فراغ فى عينى ما دمت غير ناظر إليك .. كل حديث لا تقولينه ، وكل كلام لا يتحدث عنك هذر من الهذر وسخف وخرافة ... لا أحبك ويلى ، ويلى من نفسى إن كنت لا أحبك ... فماذا يا ترى يكون حالى لو كنت أحبك ؟ إمامة إنى أحبك .

إمامة : كلام ... أحسنت الكلام .

سيف : إذن فليس هذا هو ما ينبض به قلبك ؟ إذن فأنت لا تحبيننى ؟

إمامة : لا أحبك ؟.. فمن أحب ... إنك فتى الحى وفارسه ، وإنك البطل المظفر ، وإنك الشجاع الذى لا يثنيه هول أو يرده جليل ، وإنك

أعظم الفتيان جمالا ، ممشوق القوام فكأنما أنت تمثال من تماثيل الفرس ، أو إله من آلهة الإغريق .

سيف : أحببت فى زائلا يا إمامة ، فقد يزول الجمال ، وقد يغلظ القوام فيجثم أمام عينيك تمثال الإغريق وإله الفرس .

إمامة : ويلى بربك ، لا تقل هذا ... لا بربك ... لا أطيق .

سيف : أما تحبين فىّ غير القوام الممشوق ، والوجه الحلو ... ؟

إمامة : وأنت ماذا تحب فىّ ... هيه ... ماذا تحب ؟

سيف : إجادة أنت فى سؤالك ؟

إمامة : وما لى لا أجد ؟

سيف : لأنى أحبك جميعا .. أحبك إمامة .. بكل شىء فيك .. الظاهر منك وما تستره الضلوع .. أحب وجهك وقوامك ، وخلقك ورداءك .. وأناملك الدقيقة هذه ، وخفقة عينيك وأنت تستمعين إلى بابتسامة ثغرك ، وأنت فرحانة بكلامى ، وأحب هذه النونة التى تبدو وكأنها توقيع خالقك على وجهك بعد أن خلقك فأعجبه ما خلق ، فأراد أن يشرفه بهذا التوقيع الحار الذى لا يبدو إلا مع السرور والفرح والضحك . نعم هذه النونة ... أحبها ... أحبك جميعا .. أحبك بلا استثناء ... أحبك كلا لا أستثنى منه جزءا .. أحبك هكذا وما أظن أن الحب إلا هذا .

إمامة : (**تضحك ضحكة صغيرة**) وأما أنا فأحب ذراعيك المفتولتين ، وأحبك تمشى فى الحى فتشير صديقاتى إليك هامسات ، ثم ترد الواحدة منهن صديقتها عنك وتحذرها أن تقترب منك لأنك رجلى أنا ، فكلهن يعلمن أنك رجلى أنا ، أحبك تذهب إلى الحرب ثم

تعود فيقول الناس إن سيفا كان فارسا ، وأحبك أن يتحدث الرجال فيقولون ليس بين فتياننا من هو مثل سيف ... أحبك سيف .

سيف : فلو أن عروة ابن عمك سبقنى فى الفروسية ، ولو أنك سمعت صديقاتك يتهامسن عنه بينهن ، ولو أنه ذهب إلى الحرب ثم عاد فسمعت الرجال يتناقلون عنه الحديث ، ولو أننى مرضت يوما فلم أسر بين صديقاتك ، إذن لتركتنى إلى عروة إن كان السابق أو إلى أى فتى آخر إن كان هذا الآخر هو السابق ... أهكذا يا إمامة ؟

إمامة : سيف ، مالى أراك متشككا فى حبى لك ؟ تشك فى حبى وقد جئتك وقبلت اللقاء بك مرات ومرات والعيون حولنا من كل مكان ؟

سيف : لا أدرى واللّه يا إمامة أجئت إلىّ أم إلى ذراعى المفتول وقوامى الممشوق ، وحديث الناس عنى وتهامس النسوة حولى . لا أدرى يا إمامة .

إمامة : وما أنت ؟.. ألست أنت ، أنت القوام الممشوق والذراع المفتول وحديث الناس ، وتهامس النسوة ؟ أى فرق بين الاثنين ؟ لماذا تفرق بين نفسك وصفاتك ؟

سيف : أخاف يا إمامة .

إمامة : أتخاف من نفسك .. أتغار من صفاتك ؟

سيف : إن كنت أحببتِ هذه الصفات وحدها فأنت تحبينها غدا فى أى فتى يتصف بها .. أما إن كنت أحببتها فىّ لأنها فىّ فأنت تحبيننى .

إمامة : تحيرنى يا سيف ، فواللّه ما أدرى منذ متى ينفصل الإنسان عن

صفاته ويغار منها ؟ إنى أحبك يا سيف .

سيف : ما أشد خوفى من حبك وما أعظم حيرتى فيه .. أهو حب لسيف أم لذراع سيف ؟ لا أدرى .

إمامة : لا أفهمك سيف الليلة ، فهلم بنا فقد أوشك القمر أن يرتحل وقد أوغل المساء ... هلم بنا .

إمامة : على لقاء يا سيف .

(موسيقى تصاحب المشهد)

سيف : إمامة .

إمامة : سيف ، أنت لا تدرى ما حل بى .

سيف : ماذا ، ماذا حل بك ؟

إمامة : تركتك فى آخر لقاء وسعيت إلى منزلى ، وقبل أن أصل إليه نبت لى من مكان خفى عروة ابن عمى .

(تنقطع الموسيقى)

عروة : من أين يا إمامة .

إمامة : وما شأنك يا عروة ؟

عروة : فشأن من إذن إن لم يكن شأنى ؟

إمامة : شأن أبى وأمى ... هل أنت أمى ؟

عروة : أمنى تسخرين يا إمامة ؟

إمامة : فما تعرضك لى فى الطريق وما سؤالك من أين وإلى أين ؟

عروة : فإنى أعرف أين كنت وأنت ابنة عمى ، فإن تناولك الناس بشر فقد أصابنى هذا الشر .

أمامة : فلا شأن لك بى .

عروة : بل هو شأنى ، وإنى ذاهب اليوم إلى أبيك لأخطبك .

إمامة : اكشف الستار إذن عن نواياك ... فذلك إذن ما تريد .

عروة : وأى عيب فى أن أطلب الزواج بابنة عمى ؟

إمامة : وأى عيب فى ذلك ، ولكنك تهددنى بما تدعى أنك تعرفه .

عروة : إنما أردت أن .. أستر عليك .

إمامة : لا شأن لك بأن تستر علىّ .

عروة : فإن كنت أحبك ؟

إمامة : أتحب من لا يحبك ؟

عروة : ألا تحبيننى يا إمامة ؟ كنت أكذب نفسى .

إمامة : أما تعرف هذا ؟ بل لا تكذب نفسك .

عروة : فماذا تكرهين فىّ ؟

إمامة : وماذا أحب فيك ؟

عروة : ألست فارس القبيلة وفتاها ؟

إمامة : بل أنت من فرسانها وفتيانها .

عروة : فمن الفارس فيها والفتى ؟

إمامة : أما تعرفه ؟

عروة : أظننى أعرفه .

إمامة : بل إنك تعرفه .

عروة : فى غد تسمعين عنى يا إمامة .

إمامة : فدع حديثك إلى الغد حين أسمع بك .

عروة : فى غد تسمعين .

(تعود الموسيقى)

إمامة : أخاف أن يشى بنا إلى أبى يا سيف .

سيف : ليس هذا ما أخشاه .

إمامة : فماذا تخشى ؟

سيف : (**سارحا**) ليس هذا ما أخشاه .

إمامة : لقد أوعدنى .

سيف : بل لقد وعدك .

إمامة : ماذا تعنى ؟

سيف : سيظل عروة ولا عمل له إلا المران على السيف والفروسية حتى يصبح فتى القبيلة .

إمامة : ولكنك ستظل السابق عليه .

سيف : واللّه لا أدرى يا إمامة .. واللّه لا أدرى .

إمامة : وماذا أنت فاعل الآن ؟

(تنقطع الموسيقى)

سيف : يا أبا إمامة ... جئت أخطب إليك إمامة .

إمامة : نعم الرجل أنت يا سيف ، وإنى قبلت ؟ (**أصوات فرح وطبول**)

سيف : أحسنت الأيام إلينا يا إمامة .

إمامة : أى زوجى الحبيب ... لقد أحسنت .

سيف : سنجعل أيامنا كلها أفراحا .

إمامة : أما أنا ففى فرح دائم .. بحسبى أن يقال عنى أنى زوج ، وبحسبى أن أراك فى جمالك الحلو هذا ..

سيف : أما أنا فبحسبى أنى تزوجت من حبى ... أحسنت الأيام يا إمامة ... أحسنت الأيام .

(موسيقى تنتهى بصياح وضجيج)

صوت : ... إلينا فتيان القبيلة ... الحرب .. الحرب .

(يخف الضجيج)

إمامة : سيف ... أنت ماض إلى الحرب ؟

سيف : نعم يا إمامة ، إنى ماض إليها .

إمامة : فعد سالما يا سيف ، وعد بطلا يا سيف .

سيف : اسألى ربك لنا الخير يا إمامة ...

إمامة : الخير رفيقك يا سيف .

(موسيقى)

أم عروة : أنت ماض إلى الحرب ؟

عروة : أجل يا أم .

أم عروة : فكن رجلا يا عروة .

عروة : أعرفتنى غير ذلك يا أم ؟

أم عروة : لا وربك يا بنى ... اللّه جارك يا ولدى ... اللّه جارك .

(موسيقى تنتهى بصيحة حرب)

صوت : عليك بسيف ... إن أنت قتلت سيفا انتصرنا .

آخر : وكيف لى بسيف ، وهأنتذا تراه كالإعصار الجارف يدور فى الميدان كالهول المبين ؟

الأول : نذهب إليه جماعة ونحيط به .

الثانى : نفعل ذلك ... هلم ... هلم أسعد ، هلم إسحق ، هلم أيمن هلم جميعا ، أحيطوا بسيف .

(تعلو ضجة الحرب لحظة ثم تخفت)

سيف : اللّه معى يا أعداء اللّه ...

الأول : خذ هذه .

سيف : بل خذها أنت .

الثانى : فهذا إلى قلبك .

ثالث : الموت لك .

سيف : بل لك أنت .

رابع : تقدموا جميعا واضربوا .

سيف : آه .

عروة : لبيك سيف .. لبيك أخاه .. عروة إلى جانبك .

(موسيقى حزينة هادئة)

عروة : كيف هو الآن يا إمامة ؟

إمامة : يصحو لحظة ويغيب ساعات .

عروة : ابذلى فى العناية به غاية الجهد يا إمامة .. لقد كان فارس الحرب وفتاها .

إمامة : بل سمعناه أنك أنت من كنت فارسها وفتاها ؟

عروة : واللّه ما أحس القوم بى إلا بعد جرح سيف ، ولو لم يجتمع عليه الأعداء ما استطاعوا أن يصيبوه .

إمامة : ثم قيل إنك كنت خيرا منه ؟

عروة : إنما الناس ألسنة تنطق بغير تفكير ... لا واللّه كان سيف خير من حارب فى قبائلنا .

إمامة : ولكن الناس يمتدحون شجاعتك .

عروة : لأن سيفا جريح .. والناس أصدقاء القوى أعداء الضعيف ، يسيرون

مع السائر ولا يرحمون من أعياه السير فى سبيلهم .

إمامة : تذم الناس وما ذموك ؟

عروة : أقسم أنى لا أذمهم وإنما أصفهم ، ضعاف يحبون القوى ويتملقونه ، فإن ضعف نسوا قوته وانهالوا عليه بألوان من الأكاذيب .

إمامة : لك اللّه عروة ... ما أرى إلا أنك تدافع عن صديقك سيف .

عروة : لم يكن سيف صديقى فى يوم من الأيام وإنما كان الأمل الذى أتطلع إليه والذى أرجو أن أصبح مثله .

إمامة : وهأنتذا قد أصبحت خيرا منه .

عروة : كذب واللّه من قال هذا ، أين أنا من سيف ؟ .. أين أنا منه ؟ .. ارعى سيفا فلم يبق منه إلا أنت بعد أن ماتت أمه .

إمامة : حادثينى عن سيف وعن الناس وعن نفسك

(**مترددة**) ولم تقل شيئا عن غير هذا ؟

عروة : (**كمن فهم ويريد ألا يفهم**) ماذا تقصدين يا إمامة ؟

إمامة : أذكرك بحديث بيننا وتأبى أن تذكره .

عروة : أى حديث ؟

إمامة : أما تذكر منه شيئا ؟

عروة : أذكر أننى حادثتك منذ أنت فتاة لم تتزوجى . عرضت عليك نفسى فأبيت .. ثم تزوجت يا إمامة فأى حديث بيننا ؟

إمامة : ألا تريد أن تذكره ؟

عروة : لا واللّه لن أذكره أبدا ... أأذكره وأنت زوجة لخير فتياننا وزوجك هنا جريح ؟ جريح فى سبيلنا جميعا ، لست الفتى العربى إن أنا ذكرته لك .. لا يا إمامة ، لا يا زوجة سيف .

إمامة : وأين سيف منى الآن .. إنه مريض ، جريح ، غائب عن الحياة .

عروة : بل إنه يملأ الحياة بسيرته وماضيه .. لا يا إمامة ، لا حديث بيننا أبدا ... سلام عليك ...

إمامة : (**فى لهفة**) انتظر .

سيف : (**فى صوت ضعيف**) **إمامة .**

إمامة : لبيك سيف .

سيف : من ذا الذى تحادثين ؟

إمامة : إنه عروة يا سيف .

سيف : مرحبا بالرجل .. أدخليه يا إمامة

(**جملة موسيقية**)

عروة : أعانك اللّه يا سيف .

سيف : أنقذتنى يا عروة ... لولاك لكنت الآن قتيلا .

عروة : لا تقل هذا يا سيف .. إنما أنقذت سيف قبيلتنا ، وإنما أنقذتك لنفسى يا سيف ..

سيف : اللّه وحده كفيل بشكرانك يا عروة ... لا يا إمامة ... اللّه وحده هو الكفيل .

(**موسيقى**)

عروة : كيف حاله يا إمامة ؟

إمامة : كما هو يا عروة .

عروة : فسلام عليك يا إمامة .

إمامة : أما تجلس قليلا ؟

عروة : أجلس إليك وأنت زوجة سيف ... لا يا إمامة .. سلام عليك .

إمامة : عليك السلام .

(**موسيقى**)

صوت : (**صدى**) وأنت زوجة سيف ... لا ... وأنت زوجة سيف لا .

إمامة : سيف .

سيف : (**فى صوت ضعيف**) لبيك إمامة .

إمامة : طال بك المرض .

سيف : أجل يا إمامة .. طال بى المرض .

إمامة : وبعد يا سيف ؟

سيف : أدرك ما بنفسك يا إمامة .

إمامة : لقد كنت دائما الذكى اللبيب .

سيف : أدرك كنت دائما الذكى اللبيب .

سيف : لو كنت ذكيا ما تزوجتك يا إمامة ، ولكنه الحب يعمى فعميت .. كنت أدرى أنك تحبين سيفى وذراعى ولا تحبيننى ... كان يجب ألا أتزوجك يا إمامة .

إمامة : قضاء اللّه يا سيف .

سيف : بل قضاء الشيطان الذى فى نفسك يا إمامة . اللّه أرحم بعباده من الغدر بالمريض ، والتنكر للجريح ...

إمامة : سيف .

سيف : أنت طالق يا إمامة ... طلاقا بائنا لا رجعة فيه .. اذهبى يا إمامة واستغفرى اللّه كثيرا فما أظنه يغفر لك ...

(**موسيقى**)

إمامة : (**فى لهفة**) عروة إلىّ عروة .

عروة : ماذا يا إمامة ؟

إمامة : عودا إلى حديثنا يا عروة .

عروة : بل لا عود واللّه .

إمامة : (**فى فرح من تخفى أمرا جليلا**) ولماذا يا عروة ؟

عروة : إنك زوج سيف .

إمامة : فماذا تراك تقول إن هو طلقنى ؟

عروة : أوطلقك ؟

إمامة : ماذا تقول إن هو طلقنى ؟

عروة : أجيبينى ... أطلقك سيف ؟

إمامة : نعم .

عروة : فأنت من طلبت إليه ذلك ؟

إمامة : وما يهمك أنت ؟

عروة : ويلك من الأيام يا إمامة ... ويلك من الأيام .

إمامة : ألا تحبنى يا عروة ؟

عروة : واللّه لو كنت أحبك قدر حبى للحياة ... لكرهتك الآن قدر كرهى للموت ..

إمامة : عروة .

عروة : أتطلبين الطلاق من زوجك الجريح ، لأنه جريح ؟ ومن أين لى أننى لن أجرح غدا ، فتتركينى كما تركت زوجك ؟

إمامة : فماذا أفعل يا عروة ؟

عروة : اذهبى إلى كهف بعيد عن الناس وانقطعى عن كل من عرفك ، فأنك تذكرين البشر بمقدار الشر الكامن فى نفوسهم ، والناس لا

يحبون أن يذكروا الشر الكامن فى نفوسهم ... اذهبى بعيدا ... لا يراك أحد واستغفرى الله وأطيلى الصلاة له ... فقد يغفر فهو وحده الذى يغفر الذنوب .

إمامة : عروة .

عروة : لا تنطقى باسمى يا صورة الشيطان .. اذهبى إلى لا لقاء ... ولا عودة .. لا كان يوم لقيتك فيه ولا كان يوم ولدت فيه ..

(موسيقى)

عروة : سيف .

سيف : مرحبا عروة .

عروة : لقد جئت وأمى إليك نقيم لديك حتى يزيل الله عنك البأس .

سيف : بمثلك تجمل الدنيا يا عروة .. فلا حياة إن لم تعطر نواحيها إن الدنيا كلها أصبحت شيطانا واحدا كبيرا بلا رجعة ولا خير ولا حب .

عروة : فداؤك نحن يا سيف .

سيف : بمثلك تجمل الدنيا يا عروة .. فلا حياة إن لم تعطر نواحيها بهذه الروح الطيبة التى تسرى فى قلوب أمثالك .. مرحبا عروة .. مرحبا بالحياة فيك .

(موسيقى ـ ختام)

* * * * *

الفصل الثالث

« عفو الملك »

أبو القاسم : هو الحب يا سامية يترقرق فى دماء الكريم ، فتزداد كرما ويتسرب إلى نفس الخبيث فتكرم ... هو الحب ذلك الجمال تعتذر به الدنيا عن شرورها ... هو الحب بغيره لا حياة وبإجدابه لا مياه .. هو الحب .

سامية : حسبك أبا قاسم منذ متى اتخذت الشعر صناعة .. إن ما تهيئ نفسك له من ملك وجاه وما يتطلبه هذا المكان من قسوة وقوة لا يتفق وما تنساب به اليوم من شعر يكاد ينتظم .

أبو القاسم : إنما السلطان عاطفة وعقل ، إن فقدت واحدة منهما فلست بالحكم خليقا .

سامية : غبت عنى اليوم كثيرا .. فى أى العنصرين شغلك .. أهى العاطفة أم هو العقل ؟

أبو القاسم : والله لا أدرى كيف أجيب ، فقد كان كلاهما منذ اليوم شاغلى .

سامية : (**غاضبة**) ويلك أبا القاسم أعاطفة ولا أراك فلمن ؟

أبو القاسم : (**ضحكة مسرورة**) لرجل ورب الكعبة .. لرجل .

سامية : (**مستمرة فى غضبها**) أكذا فمن ؟

أبو القاسم : قصدنى اليوم ابن إسماعيل .

سامية : ابن القاضى المتوفى ؟

أبو القاسم : أجل هو .

سامية : ماذا يريد ؟

أبو القاسم : فهو يخشى أن يعين فى مكان أبيه غيره ، فجاء يرجونى أن أقصد إلى شريكى فى الإمارة وأزكيه لديه .

سامية : فنعم السعاية ، فقد كان أبوه من خير الناس وهو على نسج أبيه ينسج .. يقال عنه إنه واسع الاطلاع رحب التفكير ولولا بعض الجشع فيه لامتنعت سيرته عن الثلب فما قال الأمير .

(موسيقى قطع) (فى قصر الخليفة)

خـــــادم بالباب : أبو القاسم محمد أمير الدولة الشرقية وابن إسماعيل ابن القاضى المتوفى .

الخليفة : مرحبا بالأمير زورة كريمة .

أبو القاسم : شفيعا جئت إليك .

الخليفة : فمرحبا بالشفيع .. أعقوبة فأرفعها أم جائزة فأنيلها ؟

أبو القاسم : بل حق فتوطده .

الخليفة : بقيت للحق وأنار اللّه لنا سبيله .

أبو القاسم : ابن إسماعيل .

الخليفة : مكان أبيه يريد ؟

أبو القاسم : هو ما حزرت .

الخليفة : هو لك يا ابن إسماعيل .. فإنك واللّه قد شفعت من لا تخيب له شفاعة .

ابن إسماعيل : أطال اللّه بقاء الأمير .

الخليفة : فما ديدنك فى القضاء ؟

ابن إسماعيل : ديدنى .. ديدنى كتاب عمر بن الخطاب إلى أبى موسى الأشعرى

يقول آس بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك .

الخليفة : ألا بينت لنا ما يقصده رضى اللّه عنه فى قوله آس بين الناس فى وجهك ومجلسك ؟

ابن إسماعيل : يريد من قاضيه ألا يبتسم لأحد ويعبس لآخر وألا يقرب شخصا ليبعد غيره ... آس بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك .

الخليفة : وهل أنت مستطيع ما تأخذ به نفسك ؟

ابن إسماعيل : فأنا باذل غاية الجهد .

الخليفة : جوابك يدل على الصدق .. فى وجهك يا بن إسماعيل وفى مجلسك آس بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف فى حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك والحق الحق .

ابن إسماعيل : نعم أعرفه فهو قديم .

الخليفة : قديم قدم الزمن .

ابن إسماعيل : إنى عليه حفيظ .

الخليفة : وأنت بحفظه خليق .. أعلنوا ابن إسماعيل قاضيا للقضاة .

(موسيقى)

سامية : وفق اللّه كل ما تسعى له .

أبو القاسم : إن دعوة أنالها من شفتيك هى التوفيق .

سامية : أراك عدت للشعر .

أبو القاسم : وما تريدين من زوج يخلو إلى زوجه التى يحب .

سامية : أريد أن يكلمها فى حقيقة ما يشغله .. إن الأعداء يتحرشون بك من كل جانب ويتنمرون بملكك من كل سبيل ، وأنت تكتم لما

تنثنى عليه ، وتضمر غير ما تبدى فتثيرها فى نفسى نارين : إحداهما خوف عليك وخشية على ملكك وأخرى غيظ منك وحنق عليك ألا تشركنى فيما تفعل كأنى أصغر عن فهمك واتفه عما يشغلك أو ...

أبو القاسم : حسبك وأخمدى النارين كلتيهما ، فلست والله بمحتمل عليك من واحدة منهما بصيصا مهما يخفت .. (**ساخرا من نفسه**) أخشى عليك هموما فأثيرها فيا لى من غبى .. الحرب تومئ إلى بعين وأتقيها بعيون .. ولكنى أخاف الصديق أكثر من العدو .. إن بيننا قوما يتآمرون .

سامية : فقرب إليك أجدرهم بالثقة .

أبو القاسم : وبمن أثق ؟

سامية : بمن يبدى لك جفاء فى المظهر ووضوحا فى الرأى .

أبو القاسم : فأنا على القلق المبيد ... والجمع خاضع .

سامية : فالجمع فاحذر .

أبو القاسم : وثقتى ؟

سامية : بالله وبنفسك .

أبو القاسم : وأنت .

سامية : ألم أقل لك بنفسك ... وهل نفسك إلا أنا ؟

أبو القاسم : نعم أنت هى ونعمت نفسا .

سامية : وعشت لها .

أبو القاسم : معى يا سامية ؟

سامية : إلى ما بعد الخلود .

ابو القاسم : اللهم شكرانك .

(موسيقى)

ابو على : هنيئا لك القضاء يا بن إسماعيل ... كنت مسافرا هذا العام فلم أعجل بالتهنئة .

ابن إسماعيل : أحمد الله على نعمته وأشكرك يا أبا على .

ابو على : مكان كبير ما نلته ... لا يرأسك إلا الأمير .

ابن إسماعيل : إن المنصب إن كبر عظم الشاغل .

ابو على : ولكن مكان الدولة ليس بالوطيد والأعداء يتنمرون من خارج البلاد وداخلها ، وأخشى أن تحتسب من رجل الأمير الحاكم فتغضب القادمين بعده . والقضاء عدل وكرامة وأخشى أن يهزك الحرص فيحيد بك عن العدل ويميل بك عن الكرامة ، وليس كالحرص مذل لأعناق الرجال .

ابن إسماعيل : فيمن هذا الكلام يا أبا على ؟ ما استمعنا أن قاضيا يميل به إلى الحرص عن العدل أو الكرامة ، وأنا من تعلم ؟

ابو على : لا والله ما علمتك ظالما أبدا فلست أنت من أعلم عنه ظلما ، وإذا أنا بينت لك ما أضمره ، فأنا من يشفق عليك . فهون عليك ولا تأخذنك بنفسك العزة .

ابن إسماعيل : حسبتك تعرف عنى خلقا قويما لا يميل ، وكرامة صلبة لا تنحنى .

ابو على : يظل الخلق قويما لا يميل حتى يتولى صاحبه السلطان ، فإذا الخلق معدوم كالعدم ، وإذا الجشع راكب النفس يطمح بها ، وتظل الكرامة صلبة حتى يشوبها الحكم فإذا هى هشة كالدقيق ، وإذا الرأس منحنٍ حتى يبلغ أعماق الأرض . فاحذر الحكم يا بنى ..

احذره واستعن بالله يعيذك من الشيطان واعلم أنه الشيطان ا
يلبس فى كل ما يرتدى أجمل من الحكم .. واعلم أنه ما استخفى
فأوغل فى الاستخفاء إلا حين عثر على السلطان فارتداه يغرى
به ، فإذا النصر متهالك عليه من كل جانب .

ابن إسماعيل : لم أرك كاليوم ناصحا يوغل فى النصح ، أتعلم أبا على أن
التضحية هى أثقل الطيبات على النفوس ؟

أبو على : أعلم ذلك .

ابن إسماعيل : فما بالك إذن ؟

أبو على : حبى لك وإشفاقى عليك يهونان ما تستقبل به نصيحتى
وإننى ...

(تسمع أصوات ويدخل قوم لا يزيدون على ثلاثة)

الأصوات : سلام عليكم .

ابن إسماعيل ـ وأبو على : عليكم سلام الله .

ابن إسماعيل : ألا تعرف الصحاب ـ أبا على ؟ هذا ابن إبراهيم السياسى البارع
والمؤرخ الباحث ، وهذا صاحبه سعيد أطول لسان عرفته البلاد
لا ينظر إلا لينتقد ، أما هذا الكاتب المبدع عثمان وما أظنك
إلا سمعت عنه .

أبو على : فمرحبا بالصحاب ، ووددت والله أن أقيم معكم فلا أنصرف ،
ولكنها مهمة لابد لى من الذهاب إليها فعذرا ... سلام عليكم .

الجالسون : وعليك السلام ـ أبا علىّ ـ عليك السلام .

أبو على : احذره ـ ابن إسماعيل ـ أحذره .

(يسمع صوت باب يغلق)

سعيد : لم أر هذا الرجل ولكنى سمعت عنه ، انه ثقيل الظل كثير الكلام
قليل العمل .

ابن إسماعيل : **(كما لو كان أعجبه الكلام ولكنه لا يريد أن يمضى فيه)**
حسبك حسبك سعيد . أهكذا دون أن تعرفه تسل عليه لسانك ؟
فماذا فعل بك ؟

سعيد : ماذا كان يفعل ها هنا ؟

ابن اسماعيل : كان يهنئ .

سعيد : يهنئ ... بماذا ؟

ابن إسماعيل : بمنصب القضاء .

أصوات : القضاء .

أحدهم : أبعد عام من توليك له ؟

ابن إسماعيل : على رسلك .. قد كان الرجل مسافرا .

ابن إبراهيم : وممّ يحذرك ؟

ابن إسماعيل : من المنصب .

(يضحك الجميع وتبدو أصواتهم وكأنها تردد كلمتى : من المنصب)

سعيد : ألم أقل لك ثقيل ... ثقيل ... ورب الكعبة .. ثقيل .

عثمان : أرانا نطيل الحديث فيما لا يفيد .

سعيد : وما الذى يفيد ؟

عثمان : **(فى سخرية)** الذى يفيد ما نجيء من أجله كل يوم .. الذى
يفيد ما تعرفه يا سعيد .

سعيد : حسبنا كلاما ...

ابن إسماعيل : ليس بعد ، أنا لم أوافق بعد ..

سعيد : لم توافق .. أتستطيع .. ملك هذه البلاد أجمع .. أنت السيد المرموق .. مازلنا بالشعب ومازلت بالعدل حتى أحبك وأتفانى فى حبك فما تريد .. ليس بعد ، فمتى إذن ؟

ابن إسماعيل : تنسون جميعا حين يأخذكم الحديث أن أبا القاسم هو الذى منحنى هذا المنصب وهو الذى أتاح للشعب أن يحبنى ، فحقه أن أقف إلى جانبه .

ابن إبراهيم : مالنا به .. إن ملكه قد هوى وبعد أيام قد يكون وقع فى الأسر . وأنت لا عمل لك إلا أن تتولى هذا الملك ، والشعب راض عنك والغزاة قبلوا أن يتركوه لك وينسحبوا من أرض الوطن .. فما تريد ؟

ابن إسماعيل : أريد ألا أدفع الدية .

سعيد : هنا يجب أن نسكت حرصا على مصلحة البلاد .. فإن أبا القاسم إن خرج سيشعلها نارا لا تخمد ، وخزانة الدولة يجب ألا تكون وقفا على أشخاص .

عثمان : وأنت بعد لم تفعل معه إلا ما يرضى الكرامة .

ابن إسماعيل : دع الكرامة جانبا بربك يا عثمان .

ابن إبراهيم : بل يتمسك بها .

سعيد : يا بن إبراهيم ، دع النقاش فإنها دولة .

ابن إسماعيل : اسمع سعيد .. أنا لا أقوم بهذا الأمر وحدى .

سعيد : منذ متى كان هذا ؟ متى سمعت عن حكم يشترك فيه أربعة ؟

ابن إسماعيل : سمعت أو لم أسمع ، إذا قبلتم قبلت وإذا أبيتم أبيت .

عثمان : فما تقول أنت عثمان ؟

سعيد : فهل أمامنا غير ما ترون ؟ نقبل ..

ابن إبراهيم : على شرط .

ابن إسماعيل : بغير شرط .

ابن إبراهيم : لابد منه ابن إسماعيل .. لابد أن تكون عميد الجماعة ؟

سعيد : ليكن .

عثمان : لابد أن يكون .

ابن إسماعيل : عميد الجماعة وأمرى إلى الله ... اللهم اغفر .

(موسيقى)

سامية : مالك مطرقا هكذا ؟ لقد شاء الله فانفك أسرك ، ولقيت الراحة والهدوء بعد أن ازور الدهر عنك ، وقد عهدتك ثابتا كالجبل قويا كالقوة فانفض عن نفسك ما تريد أن تحملها إياه ، وقف كما كنت تقف ، فإنه والله الخير الذى لا نعرفه ... اصح يا رجل ..

أبو القاسم : ويحك سامية مالك تكثرين الكلام ، ألا أوجزت فسألت عما يشغلنى ؟

سامية : وفيم كان الكلام إذن ؟ حسبتك تفهم الإشارة .. فما يشغلك ؟

أبو القاسم : عرفت اليوم أخبارا ما حسبت أننى سأعرفها أبدا .. أتدرين من كان يتآمر مع أعدائى ومن الذى ألقى بى فى السجن ؟ .. إنه ابن

إسماعيل القاضى الذى جعلته أنا قاضيا .. أتدرين أنهم طلبوا إليه أن يدفع من الخزانة العامة ثمن خروجى من السجن فأبى .

سامية : لعله حديث كاذب ؟

أبو القاسم : لقد قصد إلىّ اليوم واحد ممن تآمروا معه وهمس إلىّ بهذا الحديث لأحميه ، فقد ثارت الدولة على ابن إسماعيل وخانه من تعاهدوا معه ، وهو اليوم فى حيرة من أمره لا يدرى ماذا يفعل .

سامية : مالنا وله ؟

أبو القاسم : بروحى أنت يا سامية ، إنه لولاك لما خرجت إلى الدنيا . ضحيت بكل أموالك لينفرج عنى باب السجن ، بحياتى أنت .. ألا ما أهون حياتى فى سبيلك ... غبى ذلك الذى يفتدى حبيبه بحياته ، إنه كمن يفتدى حياته بحياته ، ولكن ما حيلتى إزاءك لا أملك غير هذه الأنفاس الملتهبة بالحب إن شئت أخمدها إن كان فى إخمادها نفع .. حدثينى يا سامية ماذا أفعل لأرضيك .. ماذا ؟

سامية : ماذا جرى لك أبا القاسم ؟ أتهيننى أم ترانى لست جديرة بما فعلت ، وما الذى فعلت ؟ أنفقت فى سبيلك كل ما أملك .. ألا ما أهون ما أملك فى سبيل نظرة إليك .. أتميتنى أبا القاسم .. عد إلى رشد منك ولا تعد إلى هذا الحديث .. أن تفعل ما يرضينى . بل إن شئت أن تثيرنى وتؤلمنى فعدنى ألا تعود لهذا الحديث مرة أخرى .. ألا تعد ؟

أبو القاسم : وعد حر تعبدته فهو تبيعك ، لا يزوَرُّ عن إشارة لك ولا يحيد ع

أمر تأمرين .

سامية : بل وعد حر هو سيدى ، وسيظل سيدى حتى اللقاء .

(تسمع ضربات استئذان على الباب)

أبو القاسم : من بالباب ؟

صوت : عبدك مرجان .

أبو القاسم : ادخل **(يسمع صوت باب يفتح)** خيرا مرجان ماذا ؟

مرجان : ابن إسماعيل القاضى ببابك حافى القدمين يلتمس المثول بين يديك .

أبو القاسم : من ؟ ابن إسماعيل ؟ عميد الجماعة ؟

مرجان : هو يا مولاى عميد الجماعة .

(موسيقى)

أبو القاسم : شرفت يا ... أى الألفاظ أحب إليك ، قاضى القضاة كما أعرفك ، أم عميد الجماعة كما تريد أن تكون .

ابن إسماعيل : بل عبدك ابن إسماعيل .

أبو القاسم : **(يضحك هادئا)** عجبا . ماذا أفقدك نعالك ؟

ابن إسماعيل : بل هى معى خلعتها قبل أن أدخل بابك ألتمس الشفاعة .

أبو القاسم : ثانية .. فيما الشفاعة اليوم ؟ لقد أصبحت أنت ممن يتشفع له ..

ابن إسماعيل : شفاعة منك لدى نفسك ... أرجو الصفح .

أبو القاسم : ماذا تفعل به ؟ إنه اليوم لا يغنى عنك شيئا .

سماعيل : أريح به ضميرى ويهدأ ثائرى وأحتمى منك بخيانة الخائن وغدر

القريب .

(ابن إسماعيل يبكى)

أبو القاسم : ويحك ابن إسماعيل ، ماذا بك ؟

ابن إسماعيل : بى ضمير لا يريحنى على جنب . وبى جرح فى أغوار القلب من قوم مهدوا لى الشر ، فإذا خطوت به تخلوا عنى وانقضوا علىّ وألقونى بين أنياب العدو بلا صديق .. إنه الجرم الذى اقترفته فى حقك يلاحقنى فاعف .

أبو القاسم : وجئت وحدك لا تخشى انتقامى ؟

ابن إسماعيل : أنت تنتقم من ملتجئ إليك ! .. لا يا مولاى أنا لا أخشى انتقامك ، فإنك أكرم من تلك الخشية . ولكننى أخشى أن تأبى على الصفح فهل تأباه ؟

أبو القاسم : بل هو لك وأنت لك الشكر .. إن التجاءك إلىّ هو أعظم مديح أناله .. لقد عرفت فى نفسى ما لم أعرف .. إن اطمئنانك إلى خلقى وهدوءك إلى كرمى هو أعظم جزاء أناله منك .. صفحت عنك يابن إسماعيل ، فبيتى بيتك .

ابن إسماعيل : أنا ما أزال عميد الجماعة .. لكن لى رجاء إليك .

أبو القاسم : مر به .

ابن إسماعيل : بل رجاء .

(يسمع صوت جسم يلقى على الأرض)

أبو القاسم : أتقبل قدمى .. ابن إسماعيل ؟ استغفر اللّه ، إنه لا يُسجد لغير اللّه .

ابن إسماعيل : فاقبل رجائى .

أبو القاسم : لست فى حاجة إلى ما فعلت مر بما تريد .

ابن إسماعيل : اتخذ منى عبدا لك كمرجان هذا .. لا أرجو من دنياى غير ما طلبت منك .. أجبه بحق زوجك .. بحق ربك .. بحق كرامة لى أبذلها لدى قدميك وملك خلفى أتركه لأكون عبدك .. عبدك لا أريد غيرها .. هذه أوراق عبوديتى .. فاقبل ترح نفسى .. عبدك يا مولاى عبدك .

أبو القاسم : قم أيها الرجل ، بل صديقى مدى الحياة . قم أيها الرجل واحفظ عليك كرامتك .. قم أيها الرجل إن هذا البيت بيتك فأقم به .. قم أيها الرجل .

ابن إسماعيل : أقام اللّه أمرك وشد أزرك وهيأ لك من لدنه البركات ، اللهم فاقبل .

الجميع : اللهم فاقبل ..

موسيقى

* * * * *

الفصل الرابع

« حلقات النصر »

: **(موسيقى)**

صوت : الحمد للّه هزم المرتدين .

آخر : سبحانه الحمد له أولا وأخيرا ...

الأول : لقد نصرنا على القوم الظالمين ، وهيأ لنا ذلك السيف الصقيل .

الثانى : سيف الإسلام ، قاهر الشرك ، وعدو الكفار .

الأول : إنه خالد يا أخى ، ما سار على جيش إلا كان النصر بعض جنده .

الثانى : عقل وحسام ، يدبر فهو الملهم لا تند عن فكره بادرة ، ثم يخوضها فهو الإعصار المحيط بأعداء اللّه .

الأول : لقد ثاب المرتدون جميعهم إلى الرشد ، ومن أصر منهم على كفره قتل .

الثانى : تلك حدود اللّه ، ولا زالت حدود اللّه قائمة على الزمان .

الأول : والآن ، أما آن لنا أن نستقبل جيوشنا وننعم بأولادنا ؟

الثانى : يا أبا زياد وما ضر لو ابتعد عنا البنون ، يرفعون لدين اللّه العمد ويشدون للإسلام الأطناب .

الأول : إنه واللّه عز الدنيا والآخرة ، واللّه ما ضقت بالشيخوخة يا أبا حنظلة إلا حينما رأيت جيوش اللّه تزحف ولا تقوم بى الساق لأواكبها ، ولا ينهض الجسم لألتمس إحدى الحسنيين من

نصر أو جنة .

الثانى : ليخيل إلىّ أبا زياد أن الروح منى تتمرد على جسمى هذا الضاوى الهزيل تريد أن تفك عقالها ، وتنبعث إلى جيوش النصر تستبق واحدة من اثنتين كلتاهما أحب إلى من الشباب الذى ولى ، ومن كل أمل حققته لى أيام مواض أو ستحققه لى أيام قوادم .

الأول : لك اللّه ! . أحس واللّه أن قلبى ينطق على لسانك ... لكن أتظن الجيوش اليوم فى طريقها إلى العدو ؟

الثانى : بل ما أظنها عائدة وشيكا يا أبا زياد .

الأول : ولم ؟

الثانى : سمعت أبا بكر بالأمس يبحث فى أمر جليل .

الأول : وما هو ؟

الثانى : لقد دعا بالأمس أهل المشورة وأصحاب الرأى .

الأول : وفيم دعاهم ؟

الثانى : لقد ترامت إليه الأنباء بأن المثنى بن حارثة الشيبانى قد استولى على القطيف وهجر وسار بجيش له حتى بلغ مصب دجلة والفرات هازما الفرس كلما التقى بهم ، وقد سأل أبو بكر عن المثنى فهو لم يكن يعرفه . فأجابه قيس بن عاصم المنقرى .

صوت : هذا رجل غير خامل الذكر ولا مجهول النسب ولا ذليل العماد .. هذا المثنى بن حارثة الشيبانى ، وهو من آل شيبان بن بنى بكر ابن وائل ، وقد انضم إلى جيوش المسلمين فى حرب المرتدين وتزعم من بقى على الإسلام فى بلاده .

الثانى : فعرف أبو بكر أنه يستطيع الاعتماد عليه .

الأول : الاعتماد عليه فيم ؟ مالك لا تبين الأمر ولا تجلوه ؟ تقول إن أبا بكر دعا ذوى الرأى والمشورة ثم تقول إنه سمع عن المثنى ! أتراها الشيخوخة أبا حنظلة ألمت بك ، فأنت تهرف بما لا تعلمه ؟!

الثانى : (**ضاحكا**) نحن شيوخ الجزيرة يزيدنا السن عقلا أبا حنظلة .. ولكنه الأمر الجسيم .

الأول : ما هو ؟

الثانى : إن أبا بكر يفكر فى (**صمت**)

الأول : بربك يا أخى قل ... فيم يفكر أبو بكر ؟

الثانى : فى فتح العراق .

الأول : (**جازعا**) فيم ؟!.. أتعنى ما تقول ؟! فى فتح العراق ؟!.. فى حرب كسرى ؟!

الثانى : فى حرب كسرى وفتح العراق .

الأول : ولكن بربك ما الذى يدعوه إلى هذا التفكير ؟

الثانى : أمور كثيرة ... فهو يعلم أن هؤلاء المرتدين الذين هزمناهم لن يستنيموا على الهزيمة فلابد أن يشغلهم بالفتح عن الثأر ، ثم إن كثيرا من إخوتنا العرب يقيمون فى الشام والعراق ولابد لهم أن تبلغهم الدعوة إلى الدين القيم ، ولعل هذه الفروع من العرب تذكر أصولها الضاربة فى جزيرتنا فيميل العرق إلى العرق وتتجه الدماء إلى الدماء ، يجتذبهم دين جديد ناصع ، ومذهب رفيع متحد ، هو أن لا إله إلا اللّه وأن محمدا رسول اللّه .

الأول : اللّه فى عون الخليفة يا أبا حنظلة ... اللّه فى عون الخليفة .

(موسيقى)

الراوية : وإن اللّه فى عون الخليفة ... وقد أرسل أبو بكر يدعو إليه المثنى ابن حارثة الشيبانى ، كما أرسل يدعو إليه خالد بن الوليد . وما أسرع ما جاء الرجلان فقال المثنى :

المثنى : يا خليفة رسول اللّه أمرنى على من قبلى من قومى ، أقاتل من يلينى من أهل فارس وأكفيك ناحيتى .

الراوية : **فأمّره أبو بكر على قومه ورجع إليهم ، وحين سأل أبو بكر خالدا رأيه . قال :**

خالد : سيف اللّه فى يدك يا خليفة رسول اللّه ، أطلقنى حيث شئت أعد بالنصر المؤزر إن شاء اللّه .

الراوية : **وأمر أبو بكر خالدا على القيادة العامة لجيوش الفتح .**

(موسيقى عنيفة وطبول حرب تلازم كلام الراوية) وخرج خالد على عشرة الآف من الجند ، وسار بهم حتى التقى بالمثنى ورهطه .

(تقطع أصوات الطبول)

خالد : إن طريقنا إلى الحفير .

المثنى : فكيف تريدنا أن نسير إليه ؟

خالد : فى فرق ثلاث ، وعليك يا مثنى أن تسير فى باكر الصباح مع جيشك ، وبعد غد سيلحق بك عدى بن حاتم الطائى ، ثم أتبعكم أنا ..

(موسيقى تعبر عن السير ويحسن أن تتخللها أصوات خيل وضجيج)

الراوية : **وسارت الجيوش وأرسل خالد من قبله رسولا إلى هرمز أمير الفرس فى هذه المنطقة ، وكان رسول خالد يحمل رسالة خطها خالد بسيفه ، فهى الرعب المفرق ، وبلغ الرسول هرمز .**

صوت : أسلم تسلم ، واعقد لنفسك وقومك الذمة ، وأقرر بالجزية ، وإلا فلا تلومن إلا نفسك ، فقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون أنتم الحياة .

الراوية : **ونزل خالد عند الحفير ونزل برجاله عند الماء وقال لهم :**

خالد : ألا انزلوا وحطوا أثقالكم ، ثم حاربوهم عن الماء ، فلعمرى ليصيرن الماء لأصبر الفريقين وأكرم الجندين .

الراوية : **وجمع هرمز جيوشا ، ولكنه كان خالدا لا يهزم فهو يجمع رءوس قومه يشاورهم .**

هرمز : إنه خالد .

صوت : نعلم ذلك ... إنه خالد .

هرمز : وماذا ترون ؟

صوت : إننا فى الكثيف من الجند ، فلو كانوا ألف خالد ما استطاعوا اليوم لكثرتنا دفاعا .

هرمز : بل إنه خالد واحد يا أخى ، ولا سبيل لنا إليه .

صوت : ونحن فى هذا العدد الضخم ، ونحن على هذه الخيول المطهمة ، ونحن بهذا الزاد الوافر وهذا الجيش العنيف ؟!

هرمز : ونحن كذلك ... لا سبيل لنا إلى النصر ما دام خالد على رأس هذه الجيوش .

الصوت : نعود إذن أدراجنا نقول للملك أردشير إنه خالد وإننا لم نطق له دفعا .

هرمز : بل اصبر يا أخى إنما نحن نتفاوض الأمر فنرى فيه .

الصوت : إن جيوش العرب أمامنا تذودنا عن المياه ، ولا ماء عندنا فنصبر ، ثم أنت أيها الأمير تقول نتفاوض الأمر ونرى فيه .

هرمز : إنها الحرب يا أخى ... روية وتفكير .

الصوت : إنها الحرب أيها الأمير ضراب وطعان .

هرمز : (**ساخرا**) غرتك نفسك أيها المسكين ... إنها الحرب والطعان إن كان الجيشان متكافئين ... أما وخالد على رأس جيش فلعدوه الموت والهلاك .

الصوت : أنقعد إذن نندب حظنا ، أم نعود أدراجنا ، أم لديك أيها الأمير حيلة تخرج لنا بها الماء من هذه الصحراء فنشرب ؟

هرمز : (**فى فرح**) الحيلة ... لا يغلب خالد إلا بالحيلة ... لا سبيل لنا إليه فى الحرب ولكننا قاتلوه بالحيلة ... اسمعوا إنى أعرف فى خالد حمية عربية تثور إذا أثيرت ، فإنى أدعوه إلى منازلتى حتى إذا خرج إلىّ ...

(موسيقى)

هرمز : (**صائحا**) أين خالد ؟

خالد : (**ساخرا فى صوت خفيض**) ساذجة حيلتك يا عبد الكفر .. اسمعوا أيها الإخوان إنى سأخرج فتربصوا بالقوم فإنهم حين يروننى منفردا وإياه سيخرجون إلىّ يبغون قتلى وأنا بمعزل عنكم ، فانفروا أنتم إليهم قبل أن يبلغوا مكانى .

صوت : أيريدون قتلك غيلة ؟ واللّه لنصليهم نارا حامية ؟

خالد : انتبهوا .

هرمز : (**صائحا**) فخالد إذن حديث خرافة لا جد فيه ، أين ممدوح الأبطال ، أين صاحب الأساطير ... أين ... ؟!

خالد : (**مقاطعا**) ... إليك يا فتى الكفر .

(موسيقى فيها خطورة)

صوت : اللّه أكبر ... إلى الكفرة أيها المسلمون .

الراوية : **وصدق حدس خالد ، فقد كان هرمز أوصى قومه إذا رأو خالدا يقارعه أن يخرجوا إليهما ويحيطوا بخالد فيقتلوه ، ولكن جيش خالد أحبط حيلتهم وسارع إلى جيوش الكفار فقد استل الروح الكافرة من جسم هرمز ، وصاح جنود الفرس .**

صوت : لقد قتل هرمز .

أصوات : الفرار ... الفرار ... **(أصوات سلاسل شديدة)**

أصوات : وكيف الفرار وهذه السلاسل تحيط بنا ؟

صوت : سلاسل ؟

آخر : يا لجبن الكفار لقد قيدوا أنفسهم بالسلاسل حتى لا يفروا من الحرب !

أصوات : حطموا السلاسل والفرار ... الفرار

(أصوات تحطم السلاسل)

أصوات : الفرار ... الفرار ...

الراوية : **وكان الفرار ، وانهزمت جيوش الكفر وتبدد جمعهم هزما ، وخالد يصيح بجنوده :**

خالد : أدركوهم ... أريدهم أسرى .. أو أريدهم قتلى . إن المواقع أمامنا

كثيرة . من ينجو منهم اليوم عائد علينا فى الغد ... أدركهم أنت يا مثنى ... تابعهم فلا تتركهم .

الراوية : **وكانت ذات السلاسل هى الغزوة الأولى فى فتح العراق ، وقد أفاء اللّه على المسلمين منها الفيء الوفير ، وأرسل خالد خمس الغنائم إلى أبى بكر وكان من بينها فيل تعجب له سكان المدينة حتى قال بعضهم :**

صوت : أيستطيع الفرس أن يصنعوا أفيالا كثيرة كهذا ؟

الراوية : **ولكن الحرب لم تكن قد انتهت بعد ، فإن أنباء الهزيمة كانت قد بلغت الملك أردشير ، فإذا هو يدعو إليه قارن بن قريقس .**

أردشير : يا قارن إنها الهزيمة المنكرة .

قارن : وإنى لجالب لك النصر يا مولاى .

أردشير : فالجيوش الجيوش ... والسلاح السلاح .

قارن : فداؤك يا مولاى .

أردشير : أريد جيشا لم يسمع العالم به .. أيظن هؤلاء العرب أن شيئا لا يردهم ؟!.. هلم يا قارن .

قارن : لبيك يا مولاى .

الراوية : **وتجمعت جيوش الفرس وسارت لتلتقى جيوش المسلمين ... وفى الطريق التقى جيش الفرس بالبقايا المتناثرة من جيوش هرمز وحين يسألهم قارن :**

قارن : ماذا حل بكم ؟

صوت : لا ندرى .

قارن : لا تدرون ؟!

صوت : هى الهزيمة لا ندرى من أى مكان كانت تحيط بنا ... أهم جنة هؤلاء العرب ؟ .. احتلنا لنقتل قائدهم ففطنوا إلى حيلتنا ، قيدنا أنفسنا بالسلاسل حتى لا نفر فإذا الرعب فينا أقوى من سلاسل الحديد ... حطمنا الحديد من الرعب ولم نستطع للعرب ولا لخالد دفعا ... تقف أرجلنا إن واجهنا جيوشهم ، وأرجلنا كهبوب الرياح الطائرة إذا ولينا الفرار ... الموت يا مولاى ... الموت فى سيوفهم وأيديهم وخيولهم وعيونهم ... بل الموت فى الهواء الخارج من أفواههم ... الموت يا مولاى الموت فى سيوفهم وأيديهم وخيولهم وعيونهم ... بل الموت والهواء يا مولاى .

قارن : بعض ما بكم أيها الإخوان ، بعض ما بكم ... انظروا إلى جيوشنا هذه .. وحينئذ سترون الموت الذى يشيع بينكم سينقلب إليهم .

الصوت : (**فى يأس**) هيهات .

قارن : بل سننتصر .

الصوت : (**فى ضعف**) نرجو .

الراوية : **دخل الجيش وكأنما أراد أن يقف فى مطاردته هذه ... دون المدائن عاصمة الفرس ، ولكن الأنباء جاءت إليه .**

صوت : حنانيك يا مثنى .

المثنى : ماذا ؟

الصوت : الآلاف تقفو الآلاف ... على رأسه بطل الفرس وقائدهم قارن ابن قريقس وقد التفت بفلول الجيش التى تطاردها وانضمت الفلول إلى الجيش فهم العدد العديد .

المثنى : وأين ينزلون ؟

الصوت : بقرية المزار .

المثنى : فمن لى بخالد ؟

الصوت : من لنا به ودوننا القفار والبيد ...

المثنى : فهى الشهادة إذن وبغير فتح .

الصوت : لا إله إلا اللّه .

المثنى : (**فى يأس**) لا إله إلا اللّه .

(موسيقى حزينة تنتهى بأصوات خيول وسيوف وجلبة)

أصوات : البشرى .... البشرى يا مثنى .

المثنى : هو خالد .

الصوت : اللّه أكبر ... إنه النصر ... إنه النصر ..

الراوية : **وهل خالد إلا النصر ؟ والتقى الجمعان ... أما الفرس فكثير بعددهم قليل بخوفهم ، وأما العرب فقليل برجالهم وخيولهم ، كثير بإيمانهم وعزيمتهم وخالدهم ، ومتى صمد الخوف للهزيمة ومتى ثبت الكفر للإيمان ، ومتى لبث العدو لخالد ، لقد رأى الفرس قوادهم من قارن إلى غير قارن يقتلون على أعينهم كما تقتل النعاج ، والبطل البطل منهم من وجد طريقا إلى الفرار فاتخذ سبيله إلى الفرار عدوا ... وإن كانت السلاسل قد أعاقتهم هنيهة فى الغزوة الأولى فهم اليوم خفاف إلى النجاة سراع إلى التهرب .. فإنه خالد وإنهم المسلمون .**

خالد : الحمد للّه ...

المثنى : ما أظنهم يجتمعون بعدها أبدا يا خالد ؟

خالد : تحسن الظن يا مثنى بل سيجتمعون ، أتحسب أن أكاسرة الفرس

يتنازلون عن كبرهم بهذا اليسر ؟!.. بل إنها الحرب يا أخى فانتظرها فى كل يوم .

المثنى : وأين تراهم سيجتمعون ؟

خالد : إن كسرى أردشير لن يسكت أبدا ...

الراوية : **وصدق حدس خالد ، فما كان ليسكت أردشير أبدا ، فقد بلغه ما كان من هزيمة جيوشه فهو يدعو القوم فيشاورهم .**

أردشير : ما ترون ؟

الصوت : التى ترى .

أردشير : أرى أن هؤلاء العرب قد طغى أمرهم ...

الصوت : (**كمن وجد حلا**) مولاى .

أردشير : ماذا ؟

الصوت : لا شىء .

أردشير : كأنك وجدت طريقا ، ثم حدت عنه .

الصوت : نعم فقد فكرت يا مولاى لو أننا استعنا ...

أردشير : **(مقاطعا)** بالعرب على العرب .. نعم فإن القبائل العربية الموالية لى إذا حاربت هؤلاء هزمتهم ، فهى أدرى منا بقتالهم وبطرق قتالهم.

الصوت : ولكن إذا انتصروا يا مولاى فإن النصر سيكون ملازما للعرب ما يزال ، فيهون أمرنا ويتسامع الناس عنا إن لم نستطع أن نحارب العرب وحدنا ، فاستعنا عليهم بإخوانهم .

أردشير : أنت محق ولكن .. هناك حل .. نعم ... نجعل على العرب الموالين لنا أقدر قوادنا ، فيكون النصر بيد العرب ويرجع الفضل فيه إلينا.

الصوت : أصبت يا مولاى ... أحسنت يا مولاى ... وفقت يا مولاى ..

(موسيقى)

الراوية : **شهد الله ما أصاب مولاى ولا أحسن ولا وفق مولاى ، فقد اجتمع العرب الموالون للفرس وعلى رأسهم "بهمن" جاءوا به وهو من أقدر قواد الفرس وأخذوا طريقهم إلى الولجة ، وبلغت هذه الأنباء خالدا .**

خالد : فإنى سائر إلى الولجة .

صوت : وتترك بعضنا هنا ؟

خالد : سأترك بعض الجيش على هذه البلاد ، ولكن حذار أن تخدعكم الهزيمة عن أعدائكم ... فكونوا على الحذر الدائم .

الراوية : **وأخذ خالد سبيله إلى الولجة ، فيلقى بها "بهمن" ومن يلوذ به وقبل أن يصل .**

خالد : كتيبتك أنت يا زياد ، وكتيبتك أنت يا حنظلة .

صوت : ماذا بكتيبتنا ؟

خالد : ليبق كل منكم هنا بكتيبته ثم سيروا على مبعدة منا ، حتى إذا تلاحم جيشنا وجيش الكفار انبعثوا أنتم : أنت يا زياد عن يمين وأنت يا حنظلة عن يسار .

(موسيقى)

الراوية : **وسمع الرجلان لأمر خالد ، وتابع خالد مسيره حتى تلاحم الجيشان ... ولكن المسلمين قد أصبحوا فى قلة قليلة ، والكفار ما يزالون فى العديد من جيوشهم ... لقد ترك خالد بعض جيوشه فى المذار ، وترك كتيبتين من خلفه والمعركة سجال يترجح فيه النصر بين المسلمين والكفار ، ولأول مرة رأت**

جيوش الفرس أن النصر لا يلازم خالدا طوال المعركة ، بل هو يميل حينا إليهم ثم يعود طريقه إلى خالد ، وبعث هذا التردد من النصر الأمل فى نفوسهم . وتأخرت الكتيبتان واستيأس المسلمون فى المدافعة وكادت الهزيمة ... كادت ...

أصوات : **(غاية فى القوة)** الله أكبر ... الله أكبر .

المذيع : **هيهات ... هيهات ... لكلمة الهزيمة أن تصل لجيش يقوده خالد ... إنه النصر ... إنه النصر المؤزر .. وهل كانت أيام خالد إلا حلقات من النصر متلاحقات لا يختل لها نظام ؟! لقد شاء ربك ، وإنما مشيئته أن يقول كن فيكون . وكانت مشيئته سبحانه أن يكون خالد سيف الإسلام وبطل الحروب وجبار المعارك فكان ، وكانت مشيئته سبحانه أن يظهر دينه على الدين كله فظهر وتعلو كلمته فى الآفاق فعلت ، ويشرق نوره فى الأمصار فأشرق وصدق سبحانه وتعالى هو القائل :**

﴿ الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبًا عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون ﴾ .

* * *

الفصل الخامس

" شاعر وملك "

صوت : أشهد كان كتابك الأخير من أحسن ما ظهر فى ميدان الأدب .

آخر : هذا أول كتاب لك .. أليس كذلك ؟

آخر : إنه لكذلك .

آخر : **(فى وقار)** ما أجدرك بقول البحترى :

هَذِى مخايلُ برقٍ خَلْفَهُ مَطَرٌ ... جَوْدٌ وَوَرْىُ زنادٍ خَلْفَه لَهَبُ

وأزرقُ الفجرِ يأتِى قَبْلَ أبيضِه ... وأولُ الغيثِ طَلٌّ ، ثم يَنْسَكِبُ

آخر : هذا والله هو الشعر ...

آخر : إنك يا صديقى لن تقرأ البحترى حتى تجد السبك الرصين والعربية الجزلة والألفاظ المستقرة ، وكأنما هى خلقت ليقولها البحترى فى هذه المواضع .

آخر : **(صاحب الكتاب)** البحترى صانع الشعر وجوهره .. يختار من أوزان الشعر أنسبها لموضوع قصيدته ، ثم يختار من القافية أجملها وبين القافية والوزن ينزل الألفاظ منازلها ويجريها مجراها بغير جهد تلمسه ، وإنما يخيل إليك أنه يرسل الشعر كما نرسل نحن جارى الحديث .

آخر : سمعت عن البحترى وما درست من أمره شيئا . فمن هو أو أين ولد ؟ وماذا دعاه إلى قول الشعر ؟ وكيف قاله ؟ وعلى من أخذه ؟ وفيمن قال ؟

آخر : على رسلك يا أخى فإنه البحترى ، وما هو بمن يجمل الحديث عنه

إجمالا .

آخر : فصله إذن بربك تفصيلا .

آخر : هو أبو عبيدة البحترى ، ولد ببلدة مَنْبِج ، ثم خرج إلى العراق .

(موسيقى عنيفة)

البحترى : ويلى من الشعر يا مبرد .

ابن شراعة : بل ويل للشعراء من شعرك يا بحترى .

البحترى : أخاف الشعراء يا بن شراعة .

ابن شراعة : أتخافهم أنت ؟ فماذا يقولون هم ؟

البحترى : لا وربك ما خوفى من شعر لهم أخشى أن يغض من شعرى أو ينال منه .. وإنما أخاف الحقد فى نفوسهم ونحن أبناء صنعة واحدة .. تتزاحم على المال .

ابن شراعة : على المال وحده ؟ ألا تختار لمديحك يا بحترى ؟

البحترى : أختار الغنى واسع الغنى ، فأنا إنما أمدح ماله ولا شأن لى به .

ابن شراعة : أتجعل من الغنى ذكرا خالدا من أجل المال ؟

البحترى : يا صاحبى أرأيت هذا الدرهم لو أننى وضعت عليه الطين أيغير هذا من شأنه أمرا ؟ هو الدرهم فى أى مكان .

ابن شراعة : ولكن الشعر .. أليس للشعر كرامته ؟

البحترى : يا صديقى الطيب ، متمناى واللّه أن أقيم للشعر كرامته ولا أقول حين أقول إلا عن صدق إحساس ، ولكن ذلك أمر عسير المنال .

ابن شراعة : عسير المنال ؟

البحترى : إى وربك ، فإنه لا بد لى أن آكل لأعيش لأصبح ذا كرامة ... فإنه لم يقل الشعر شاعر بغير تكسب إلا كان القائل أميرا موفور

الغنى واسع البحبوحة .

ابن شراعة : أعانك اللّه .

البحترى : لكم أحتاج إلى هذا العون من اللّه يا صديقى الأوفى .. أنا أحتاج إلى عونه لأتغلب على ضميرى ، ثم لأتغلب على بخل فى ذوى الغنى ، ثم لأوسع لنفسى مكانا بين الشعراء .

ابن شراعة : إن شعرك يوسع لك المكان يا بحترى .

البحترى : بل لابد لاسمى أن يوسع لى .

ابن شراعة : تقول اسمك ؟

البحترى : نعم ... ألا ترى إلى هؤلاء الشعراء وقد وقفوا بأبواب الأمراء تسد أسماؤهم الكبيرة أقطار الأرض ، فما أنا بواجد بينهم فُرْجةً .. وأين أضع نفسى وقد تزاحمت الأسماء وتكالبت على الرزق حتى لقد ضاقت بهم أبواب الأمراء ؟

ابن شراعة : فماذا أنت صانع ؟

البحترى : سمعت عن أبى تمام ؟

ابن شراعة : ومن ذلك الذى لم يسمع بالطائى ؟

البحترى : فإنى قاصد إليه .

ابن شراعة : ألا تخشى حقده ؟

البحترى : حقد من ؟ أبو تمام ؟... يا ليته يحقد علىّ أما واللّه لتكونن مثار عجبى ومبعث مفاخرى . وأين أنا من الطائى وقد ملك أسباب الإبداع وأعجز الشعراء حتى لم يبق إلا من يعترف له بالسبق .

ابن شراعة : إنك لن تخسر شيئا .

البحترى : فأنا ذاهب إليه ثم أعود فأروى لك ما كان .

ابن شراعة : فإنى هنا لن أبرح مكانى .

(موسيقى)

البحترى : ولقد وجدت عنده خلقا كثيرا وكل منهم يقول له الشعر وهو يصغى صامتا ، حتى إذا انتهى منشده أرشده إن كان فى شعره صُّبابة من أمل ، حتى التفت إلىّ فقلت :

رأى البرقَ مجتازًا، فباتَ بلاَ لُبٍّ ... وأصباهُ مِنْ ذكرِ البخيلةِ ما يُصبِى

وقد عَاجَ فى أطلالِها غيرَ ممسكٍ ... لدمعٍ، ولا مصغٍ إلى عُذّلِ الركب

وكنتُ جديرًا حين أعرفُ منزلاً ... لآلِ سُلَيْمى ، أن يُعَنفنى صَحْبِى

عَدتْنا عوادِى البعد عنها، وزادنا ... بها كلَفًا أنَّ الوَدَاعَ على عَتْب

ولم أكتَسِبْ جُرْمًا ، فَتجزيَنى به ... ولم أجترم ذنبا فتعتب من ذنب

وبى ظَمأٌ ، لا يملكُ الماءُ دفعَه ... إلى نَهْلةٍ من رِيقِها الخَصِرِ العذْب

أبو تمام : ذاك هو الشعر فمن أنت ؟

البحترى : البحترى .. أنا أبو عبيدة البحترى الطائى .

أبو تمام : لأنت واللّه خليفتى .. لقد نعيتنى إلى نفسى يا أبا عبيدة . فما أحب أن أعيش بعد أن نبت فى قبيلتى مَنْ هذا شعره .

البحترى : أبقاك اللّه أبا تمام ... إنما أنت موئلنا وإمامنا .

أبو تمام : وكيف حالك يا بن الأخ ؟

البحترى : فى شر حال أبا تمام . الشعراء يزحمون الطريق فما أجد لنفسى سبيلا .

أبو تمام : لقد وقعت على سبيلك يا فتى .. خذ هذا كتابى إلى قوم يكرمون وِفادة الشعر .

البحترى : بقيت مقصد آمال .. أبا تمام .

(موسيقى)

البحترى : وكان خطاب أبى تمام إلى قوم معرة النعمان ، فذهبت إليهم ومدحتهم .

المبرد : وكم أعطوك ؟

البحترى : أربعة آلاف درهم .. هو أول ما كسبت من الشعر .

المبرد : ولم يزيدوا ؟

البحترى : بل زادوا وما علموا أنهم زادوا .

المبرد : كيف ؟

البحترى : ذاع اسمى من عندهم وتيسر لى الطريق بعد أن كان وعر المسالك عسير الدروب .

المبرد : فإن سألتك اليوم أن تقارن شعرك بشعر أبى تمام .

البحترى : لك اللّه يا مبرد .. أو تظن السنوات تمحو الحقائق ؟ رحم اللّه أبا تمام .. فإنه واللّه الأستاذ الرئيس وما نلت الخير إلا به .

د : تأبى إلا شرفا من جميع جوانبك أبا عبيد .

لبحترى : هو الحق يا أخى .. وما اصطنعته .

د : وأين ستقام بك الطريق ؟

ى : إلى المتوكل .

المبرد : إن لك فيه القصائد الخالدات .

ى : إنى لا أخفيك الحق يا مبرد ... لقد قلت الشعر تكسبا فما كان يعنينى أن يكون الممدوح مستحقا لما أقوله فيه من الشعر أو غير مستحق غير أنى كنت أجد فى ذاك .. غصة ... ما أحسب إلا أنك تعرفها .. تخيل نفسك يا صاحبى تسكب الجواهر الفريدة

على حمار لا يجد فيها إلا الحصى .

المبرد : **(يضحك)** جزاك اللّه يا بحترى .

البحترى : حتى مدحت المتوكل .. وجدته يستجيب للمديح .. صادق النظرة فى الشعر .. طيب الرؤية فيه ، بارع النقد ، فاسترحت إليه ... وأصبحت أقول الشعر فيه وأنا مرتاح الضمير هادئ النفس طيب الخاطر .

المبرد : ما أحسن شعرك فيه ؟

البحترى : أقول حين قمع المتوكل الفتنة التى كادت تضطرم بين ربيعة :

نَزورُ أميرَ المؤمنينَ ودُونَه ... سُهوبُ البلادِ، رحبُها ووسيعُها

إذا ما هَبَطْنا بلدةً كَرّ أهلُها ... أحاديثَ إحسانٍ نَداهُ يذيعُها

حَمَى حوزَةَ الإسلامِ، فارتَدعَ العِدى ... وقَدْ عَلِموا أنْ لَنْ يُرامَ منيعُها

ولما رعَىَ سِربَ الرعيةِ ذَادَها ... عن الجدْبِ مُخْضَرُّ التِلاعِ، مَرِيعُها

علمتُ يقينًا مُذْ توكّلَ جعفرٌ ... على اللّهِ فيها، أنّه لا يُضيعُها

أسِيتُ لأخوالِى ربيعةَ، إذْ عَفَتْ ... مصايفُها منها وأقوَتْ ربوعُها

بكُرْهِيَ إنْ باتتْ خلاءً ديارُها ... ووحشًا مغانيها، وشتّى جَميعُها

وفُرسانِ هيجاءِ تجيشُ صدورُها ... بأحقادِها حتى تضيقَ دُرُوعُها

تُقتِّلُ مِنْ وِتْرٍ أعزَّ نفوسِها ... عليها، بأيدٍ ما تَكادُ تُطيعُها

المبرد : **(مكملا بإعجاب)**

إذا احتَرَبتْ يومًا ففاضتْ دِماؤها ... تذكرتْ القُربى ففَاضَتْ دموعُها

شواجرُ أرماحٍ تُقَطِّعُ بينهُم ... شَواجرَ أرحامٍ مَلُومٍ قَطُوعُها

فلوْلا أميرُ المؤمنينَ وطوْلُه ... لعادتْ جيوبٌ والدماءُ رُدُوعُها

تألّفَهم، مِنْ بعدِ ما شَرَدتْ بهم ... حفائظُ أخلاقٍ، بطيءٍ رُجُوعُها

فأبصَرَ غاويَها المَحَجّةَ، فأهتدى ... وأقصَرَ غاليها، ودَانَى شَسُوعُها

البحترى : إنى واللّه لا أعلم أننى أحسنت .. فباللّه ألا قلت لى أحسنت فلقد أحسنت .

(موسيقى)

صوت : يا بحترى ، مولاى المتوكل يطلبك .

البحترى : إنى إليه شاخص .

(موسيقى)

البحترى : مولاى .

المتوكل : أين أنت كنت ؟

البحترى : إنى فى حمى مولاى أينما أذهب .

المتوكل : هل من شعر جديد ؟

صوت : **(يقطع الحديث)** مولاى ... إنه الأمر الجليل .

المتوكل : فقله .

صوت : لو أمر مولاى فأخلى القاعة .

المتوكل : إنها لخالية .

البحترى : أيأذن لى مولاى ؟

المتوكل : بل أقم ، فما عليك سرى أبا عبيد .

الصوت : إنها المؤامرة حيكت خيوطها .. التأم شرها هنا فى قصر مولاى .

المتوكل : مؤامرة ... ما أهدافها ؟

الصوت : قتل مولاى .

المتوكل : قتلى ...!

البحترى : قتل مولاى .. والعياذ باللّه !.

المتوكل : فمن حامل عبئها ؟

الصوت : أخاف يا مولاى أن أقول .

المتوكل : فماذا أنت قائل إذن إن لم تذكر المتآمرين .

الصوت : إنه يا مولاى ... إنه يا مولاى .

المتوكل : ألا قل .

الصوت : المنتصر .. ابنك يا مولاى .

المتوكل : ابنى المنتصر ما خطبه ؟ أصابه المتآمرون ؟ ويل لهم منى .. هل مسوا منه شعرة .. من هم المتآمرون ... من زعيمهم ؟

الصوت : ابنك يا مولاى ؟

المتوكل : الويل لك انطق .. ماذا به .. ماذا أصابه ؟

الصوت : يتآمر عليك .

المتوكل : **(مذهولا غير مصدق)** ماذا ... تقول من .. من يتآمر ؟

الصوت : أعلم هول الوقع يا مولاى .. تمنيت والله لو مت قبلها .

المتوكل : ولدى ؟

الصوت : عفوك يا مولاى ، ما على مثل هذا نسكت فإنا إذن خونة .

المتوكل : ألقيت بالقول و لم تشفعه ببرهان ... والآن حياتك أو البرهان على ما تقول .

الصوت : أعلم يا مولاى أنك سوف تسألنى على ما قلت دليلا .

المتوكل : إلىّ به أسرع .

الصوت : فهم الساعة مجتمعون .. فلو تفضل مولاى .

المتوكل : إنى ذاهب إليهم .. فقد الطريق .. هلم يا بحترى .

(موسيقى عنيفة)

صوت : يا ولى العهد ... إن حرس الخليفة ينامون عند الفجر .

ولى العهد : فعند زرقة الفجر إذن **(فى سذاجة)** .

آخر : لابد لكل منكم أن يعرف مكمنه .. وحذار أن يعلو منكم صوت.

ولى العهد : وبعد أن تنتهوا ؟

صوت : نخرج إلى المدينة فنؤذن للفجر وفى الصلاة ندعو لك بالخلافة .

ولى العهد : هكذا .. هكذا **(فى فرحة بدائية)** .

الصوت : بل إننا سوف نترحم على الخليفة القتيل ، ونذكر مناقبه ونتعهد أمام الناس بأن ندرك الثأر .

ولى العهد : **(فى سذاجة)** نعم الثأر ... الثأر .

صوت الخليفة : **(فى شدة عنيفة قاسية)** من ينال ثأرى إذن يا منتصر ... ويلى منك وويلى عليك .

أصوات : **(فى هرج وخوف)** الخليفة ... المتوكل .

المنتصر : **(ولى العهد)** أبى ..

المتوكل : ليتك ما كنت يا بن العقوق ... خلافة سوف تفضى فى غد إليك . فما بالك تتعجلها اليوم ... واحربا .. فبمن أثق ؟

المنتصر : أبى .

المتوكل : خذوه إلى السجن .

(أصوات خشخشة حديد) .

المنتصر : أبى ... أبى .

المتوكل : خذوه ... أما أنتم ... فإن لى معكم شأنا .

(موسيقى)

البحترى : وأرسل الخليفة المتآمرين إلى الموت .. أما ابنه فإننا تشفعنا عنده

حتى رضى ألا يقتله وأبقاه سجينا .

المبرد : ويحك يا بحترى إنك لترى الكثير فى قصر المتوكل .

البحترى : إيه يا مبرد ... إنك صديق الطفولة ... فحذار أن يعرف أحد عنى أنى نقلت الحديث .

المبرد : هيهات .. إن سرك فى مكانه يا أبا عبيد .. ألم أخبرك بما سمعته عنك اليوم ؟

البحترى : أخيرا سمعت أم شرا ؟

المبرد : الحق أننى سمعت الخير والشر .

البحترى : فبالله إلا أسمعتنى الخير .

المبرد : والشر ؟

البحترى : احبسه عنى .

المبرد : أما الخير فقد سمعت اليوم أن أحد تلاميذ أبى العلاء سأله عنك وعن المتنبى وعن أبى تمام .

البحترى : أشيخ المعرة تقصد ؟

المبرد : هو أبو العلاء المعرى ومن غيره ؟

البحترى : أما والله فإنما مثل هذا من يسأل .. ومثل هذا من أحب أن أسمع رأيه .. عجل بربك .. فماذا قال ؟

المبرد : قال : المتنبى وأبو تمام حكيمان . والبحترى هو الشاعر .

البحترى : أما والله إنها لمديحة يقصر دونها كل ما سمعت من مديح .

المبرد : ألم أقل لك إنه الخير .

البحترى : والشر .. ما الشر الذى سمعته .

المبرد : ألم تقل احبسه عنى ؟

البحترى : قله .. فإنى إن لم أعلمه منك علمته من غيرك .

المبرد : سمعت فيك هجاء .

البحترى : ممن ؟

المبرد : وممن تنتظر ؟

البحترى : والله إن قربى من المتوكل أوغل علىّ أحقادا كثيرة .

المبرد : وأى حاقد تنتظر شعره ؟

البحترى : اللهم اجعله من أى شاعر إلا من ابن الرومى .

المبرد : بل هو والله من هجاك .

البحترى : **(آسفا)** فماذا قال ؟

المبرد : يقول :

البحترىُ ذَنُوبُ الوجهِ نَعْرِفُه ومَنْ يكونُ ذَنُوبُ الوَجْهِ ذا أدبِ
أحْرَى بمَنْ عَظُمَتْ فى الناسِ لِحيَتُهُ من نحله الشعر أنْ يُدْعَى أبَا العجبِ

البحترى : لقد غاظه شعرى .. فهو يعلم أنه الذهب المذاب .

البحترى : فهو إذن يسخر من لحيتى ... والله لأجيبه إجابة لم يتوقعها .

المبرد : وما هى ؟

البحترى : أتراك تلقاه ؟

المبرد : لعلّى ألقاه ... أو أننى أعرف من سيلاقيه .

البحترى : فبربك إلا أرسلت إليه هذه **(يسمع صوت النقود)** .

المبرد : ما هذا ؟

البحترى : كيس فيه مائة دينار .

المبرد : وهو من هجاك ؟

البحترى : وما البأس ؟

المبرد : والناس يقولون عنك بخيل تخاف على دراهمك خوف الطاهى على الماء .

البحترى : بل إننى والله لأكثر بخلا مما يقولون .

المبرد : فما هذه الدنانير ؟

البحترى : إننى أعلم حرقة الفقر فقد عانيته أكثر أيامى ، وأعرف الطريق المسدود إلى أعتاب الأمراء ، وأعرف أن ابن الرومى شاعر على طبيعة الشعراء ، وهو لم يقل ما قال إلا فقرا وحقدا وغيظا .

المبرد : والله ما كذب القائل :

ومَهْمَا تكُنْ عند امرىءٍ من خليقةٍ وإنْ خَالها تَخْفَى على الناسِ تُعْلَم

إنما البخل فيك صناعة والطبع كرم ... جزاك الله خيرا أبا عبيد جزاك الله خيرا ...

(موسيقى)

البحترى : ماذا قال ابن الرومى حين وافاه المال ؟

المبرد : ويحه قد قال أفحش القول ...

البحترى : لقد غاظه إحسانى إليه أكثر من غيظه لإحسانى فى الشعر .. ماذا قال ؟

المبرد : قال أيحاول البحترى أن يرشونى بمال هو مستجديه ، والله لا أسكت عنه أبد الدهر .

البحترى : مرحبا به .

المبرد : سمعت اليوم قوما يمدحونك يا بحترى ... ويقولون إنك أحببت فتاة ، فماذا قلت فيها ؟

البحترى : ألا والله إنما لنا نحن ـ مادحى الأمراء ـ مداخل إلى الكلام تبدأ

بالغزل وتنتهى إلى المديح .

المبرد : ومن ذلك ؟

البحترى : من ذلك قولى :

أَلا هَلْ أتاها، بالمغيب، سلامى وهَلْ خَبَرتْ وَجْدِى بها وغرامِى

وهَلْ عَلِمَتْ أنى ضَنِيتُ وأنّها شِفائىَ من داءِ الضَنَى، وسَقامى

ومهزوزةٍ ، هَزَّ القضيبِ، إذا مَشَتْ تَثَنّتْ على دَل، وحُسْنِ قَوَامِ

أحلَّتْ دَمِى مِنْ غيرِ جُرْمٍ، وحَرّمتْ بلا سببٍ، يَوْمَ اللقاءِ، كَلامِى

فِداؤُك ما أبقيتِ مِنى ، فإنّه حُشاشةُ جسمٍ فى نُحولِ عِظامى

صِلِى مُغْرمًا قد واتر الشوقُ دمعَه سِجامًا على الخدين، بعد سِجامِ

فليسَ الذى حللّته بمُحَلّلٍ ولَيْسَ الذى حَرّمْتِهِ بحرامِ

وإنى لأَبَّاءٌ على كل لائمٍ عليكِ ، وعصَّاءٌ لكلِ ملامِ

هل العيشُ إلا ماءُ كَرْمٍ مُصَفَّقٍ يُرقرقُه، فى الكأسِ ماءُ غَمامِ

المبرد : ذاك والله الشعر .. فسلام عليك .

البحترى : إلى أين ؟

المبرد : إلى بيتى ، فلقد والله سكرت بخير خمر ، فما أدرى هل أنا بالغ أم أننى أتوه عنها .

البحترى : (ضاحكا) فامكث حتى تفيق ، فإنى لأنتظر شيخا شاعرا .

(طرق على الباب)

البحترى : هذا هو ... ادخل .

صوت : السلام عليكم .

البحترى : وعليك السلام .. يا غلام ، هات غدائى .

المبرد : ويحك .. أتأكل الآن غداءك ، وقد آذنت الشمس بمغيب .

البحترى : لعلى لا أجد أحدا يشاركنى فى طعامى ؟

المبرد : أما أنا فمحقق لك أمنيتك .

الصوت : وأما أنا فلا .

البحترى : **(فى حزن)** فأنت ستأكل معى ؟

الصوت : نعم ...

البحترى : أتعرف يا مبرد من الشيخ ؟

المبرد : لا والله .

البحترى : فإنه من بنى الهجين الذين يقول فيهم شاعر يعرفهم : وبنُو الهجين قبيلةٌ ملعونَةٌ شُعْثُ اللّحى مُتَشابِهُو الألوانِ .. لَوْ يَسْمعونَ بأكلةٍ أو شَربةٍ بُعْمانَ أصْبَح جَمْعُهُم بعُمانِ **(ضحك شديد)** .

(ضحك مستمر ـ طرق شديد على الباب)

صوت : **(من الخارج)** يا بحترى .. الخليفة يطلبك .

البحترى : لبيه أكمل أكلتك أيها الشيخ ، فلقد والله أديت ثمنها بما أضحكتنا الساعة .

(موسيقى)

البحترى : مولاى .

المتوكل : تشوقت والله أن أسمع منك شعرا .

البحترى : أنشد قصيدتى فى البركة يا مولاى ؟ لهفى على لغة العرب كلما قلت البركة أحسست بالحسرة .

المتوكل : ولمه ؟

البحترى : عرفنا البركة يا مولاى ماء راكدا أغبر الصفحة أخرس الوجه ، ولكنك يا مولاى صنعتها من الزئبق فكأنى بك مولاى أمرت النور أن يسكب فيها ثم أمرته لا يبرحها فأطاع يا مولاى منسكبا وماكثا ، لقد والله أحسنت حين وصفتها بقولى :

مِيلوا إلى الدارِ مِنْ لَيْلى نُحيِّيها ... نَعَمْ، ونسألُها عَنْ بعضِ أهلِيها
يا دمنةً جَاذَبَتْها الريحُ بهجَتها ... تَبيتُ تَنْشُرُها طَوْرًا وتَطْوِيها
لا زِلْت فى حُلَلٍ للخيرِ ضَافيةٍ ... يُنيرُها البرقُ أحيانًا ويُسْدِيها

مالكم لا تقولون أحسنت . فلقد والله أحسنت وأحسنت .

(أصوات ضحك) .

يا مَنْ رَأىَ البركةَ الحسناءَ رُؤْيَتَها ... والآنساتِ، إذا لاحَتْ مَغانِيها
يحَسْبِها أنها ، فى فَضْلِ رُتْبَتها ... تُعَدُّ واحدةً والبحرُ ثانِيهَا
كأن جنَّ سُليمانَ الذينَ وَلُوا ... إبداعَها ، فأدقُوا فى معانِيها
فَلوْ تَمرُّ بها بِلْقيسُ عَنْ عرضٍ ... قالتْ هى الصرحُ تمثيلاً وتشبِيها
تَنْصَبُّ فيها وفودُ الماءِ مُعجلةً ... كالخيلِ خارجةً من حَبْلِ مُجْرِيها

أما والله لقد أحسنت وأحسنت .

المتوكل : أما والله لقد صدقت .. فهكذا الإحسان يكون .. وإن كان شعرك يحتاج إلى منشد .

البحترى : ألا أحسن إنشاد شعرى يا مولاى ؟

المتوكل : بل إنك والله تسيئ إليه أبلغ إساءة ... أو لعل غرورك هو المسيء.

البحترى : يا مولاى إننى أنثر بين يديك نفسى فى كل كلمة .. أكثير إذن أن أحى هذه الأجزاء من نفسى وهى تنفصل عنى لتسركم .

المتوكل : لم تخبرنى يا بحترى .. أيهما أشعر ؟

البحترى : أنا أم أبو تمام ؟

المتوكل : نعم ... هذا ما أردت أن أسألك فيه .

البحترى : أحمد الله أننى ما قرنت بغيره ... إن أردت الحق يا مولاى بغير تواضع أو غرور فإننى أرى جيد أبى تمام خيرا من جيدى ورديئى خيرا من رديئه .

المتوكل : لقد عدلت والله أبا عبيد ... أسمعنا إذن ما قلت فى عرش كسرى .

البحترى : شكر الله لك يا مولاى ... ذلك والله هو الشعر ...

صُنْتُ نَفْسِي عمّا يُدَنّسُ نَفْسِي   وترّفعتُ عَنْ جَدَا كُلِّ جِبْسِ
وتماسكتُ حيثُ زَعْزَعَنِي الدهـ   ـرُ التماسًا منه لِتَعْسِي ونُكْسِي
حَضَرتْ رَحْلِيَ الهمومُ فَوجهّتُ   إلى أبيضِ المدائنِ عُنْسِي
أتسلَّى عن الحظوظِ، وآسِى   لمحلٍ مِنْ آلِ ساسانَ ، دَرْسِ
ذكرتنيهُمُ الخطوبُ التوالى   ولقد تُذكِرُ الخطوبُ وتُنسِي
لو تراهُ علمتَ أن الليالى   جَعَلَتْ فيه مأتمًا بعد عُرْسِ
وهو يُنْبيكَ عَنْ عجائبِ قومٍ   لا يُشابُ البيانُ فِيهِمْ بِلَبْسِ
فإذا مَا رأيتَ صورَة أنطا   كيةَ ارْتعَتَ بَيْنَ رُومٍ وفُرْسِ
والمنايا مواثلٌ، وأنوشرْ   وان يُزْجِي الصفوفَ تحت الدِرَفْسِ
تَصِفُ العينُ أنّهمْ جدُّ أحياء   ءَ لَهُمْ بينَهم إشارةُ خُرْسِ
يَغْتلِي فيهُم ارتيابيَ ، حتى   تتقراهُمُ يَدَاى بِلَمْسِ

صوت : تأذن لنا يا مولاى ؟

المتوكل : على بركة الله **(أصوات انصراف القوم)** .

البحترى : أرأيت يا مولاى .. غاظهم أن تؤثرنى وحدى باهتمامك .

المتوكل : دع عنك أمرهم .. فلقد خلونا فليلنا شعر حتى الصباح .

البحترى : رضاك يا مولاى حسبى .

المتوكل : أكمل القصيدة .. آه .. قتلنى الكافر .. إلى يا بحترى .. إلى .. ابنى قتلنى .

البحترى : مولاى .

صوت : إياك أن تتقدم .

(موسيقى عنيفة)

البحترى : حَرَامٌ علَيّ الراحُ بَعْدَكَ أَوْ أرى   دمًا بدمٍ يَجْرِى على الأرض مائِرُه
وهل أرْتَجى أنْ يَطْلُبَ الدَمَ واترٌ   يدَ الدهرِ والموتورُ بالدمِ واترُه
أكَانَ ولىُّ العهدِ أضْمَر غَدْرَةً   فمِنْ عَجَبٍ أن وُلِّيَ العهدَ غادرُه
فلا مُلِّيَ الباقى تُراثَ الذِى مَضَى   ولا حَمَلتْ ذاكَ الدعاءَ مَنابِرُه

* * *

الفصل السادس

" مال وبنون "

الرواية : **أغنى ملوك التاريخ ما مضى منه ، وما هو فى مطوى الغيب مستقبل قارون . أول من سك النقود وما ذكر الغنى إلا وقال قائل :**

صوت : **(صوت فى صدى)** قارون .

الرواية : **رب المال الذى لم يشمله عد .. قارون .**

جونج

سرور : المال عندك بحور ، والناس عند بابك خدم ، والزمان طوع أمرك فاسعد إنما السعادة أن تحس بها وتلتذها .

قارون : إنما السعادة أن أنال كل ما أريد ... و لم أنله .

سرور : فإذا لم يأت الولد ؟ ماذا أنت فاعل ؟

قارون : لا بد أن يأتى ... إنه السعادة .. لا بد أن تكتمل لى السعادة ... فإنى قارون .

سرور : مولاى .. الحياة لم تخلق للسعادة كاملة أبدا .. مولاى ، إن السعادة ومضات فى النفس تخبو وتشرق .. مولاى ، لم يـر الناس فى الأزمان الماضية على طول الأزمان سعادة لا تنغصها تعاسة ، مولاى ، إن السعادة التى ترنو إليها صورة لم يخلقها إلا خيالك ، تأبى الحياة أن تحققها فاسعد بما أنت فيه .. فإنك فى السعادة لا تدرى بها ..

قارون : **(فى سخرية)** سرور ، أنت تهذى ... السعادة أمل يتحقق ، والسعادة هى ما أتخيله أنا .. إن فكرى أنا عن السعادة ليست

فكرتك أنت وآمالك .. ما أتصوره أنا سعادة لى هو سعادتى . أما آمالك أنت وما تتخيله أنت سعادة ، أما هذه فصورة غريبة عنى لا تعرفها نفسى ولا تسعد لها ولا ترضاها من المال .. الغنى .. الذهب ... الملك السلطة .. المجد .. وكل هذا فى نظرك أنت ولعله فى نظر كثير غيرك سعادة . أما عندى .. عندى أنا فعبء حينا ، ومادة مختلفة الألوان جامدة حينا آخر .

سرور : مولاى . هو ما تقول ، ولكن لا بد لنا أن نبين لك ما تمرح فيه من نعيم فإنه قل بين البشر من يتمتع بمثله .

قارون : لا بد أن أحس أن هذا هو النعيم ، وإذا أحسسته فلن أحتاج إلى أحد ليبينه لى .

سرور : سوف يأتى يوم يا مولاى تعرف فيه أى نعيم كنت فيه ، وأخشى والله يا مولاى أن تأسف يومذاك ولن يفيد يومذاك أسف .

قارون : هراء .. هراء ما تقول .

صوت : مولاى .

قارون : ماذا تريد ؟

الخادم : مولاتى تريد أن تلقاك .

قارون : **(ساخرا)** أنبئها أنى سأذهب إليها حين أنتهى من المجلس .

الخادم : مولاى عفوك ... إنها تريد أن تراك الآن .

قارون : **(ساخرا)** الآن ؟

الخادم : إن أذنت يا مولاى .

قارون : أنا قادم إليها .

الخادم : أمرك يا مولاى .

(يسمع صوت الباب يغلق)

قارون : عاقر وتشتد فى طلبى وكأنها أنجبت لى أولياء العهد .

سرور : أهى يا مولاى العاقر ؟

قارون : **(غاضبا)** يقينا .

سرور : ومن أين يأتى اليقين يا مولاى .. إنها الزوجة الثالثة ، ولم تحمل واحدة قبلها حتى تقول عن هذه أنها عاقر .

قارون : بل حملت الأولى .

سرور : ذلك الحمل الذى لم يتم .. مولاى عفوك .. فلماذا تركتها إن تكن ولودا ؟

قارون : سرور .. أنت كثير الكلام .

سرور : مولاى ، عودتنى أن أقول الحق .. وما أظنك إلا تغضب منى إن أنا أخفيت عنك ما أراه صوابا .

قارون : أنت تغالى فى الحق .

سرور : الحق يا مولاى هو الحق وهو لا يقبل مغالاة ولا تهوينا .. الحق لا يتغير يا مولاى .

قارون : هو ما ترى يا سرور ، هو ما ترى .. والآن لا بد لى أن أرى العاقر .

سرور : سترى زوجتك يا مولاى .. سترى الملكة .

(موسيقى)

الملكة . مولاى .

قارون : **(فى ضيق)** خيرا ماذا تريدين ؟

الملكة : **(فى فرح)** مولاى إنى ...

قارون : **(مقاطعا)** لا تقولى إنك حامل .

الملكة : ومالى لا أقول وهو الحق .

قارون : حديث معاد ... أسمعه منك فى كل حين ، ثم ما يلبث أن ينكشف عن وهم خالص .

الملكة : ولكنه فى هذه المرة حق خالص .. مولاى إن ولدك يركلنى .

قارون : **(بين مصدق ومكذب)** بلقيس .. أحقا ما تقولين ؟.. أحقا ما تقولين ؟

الملكة : مولاى إن شئت ركل يدك أنت أيضا .

قارون : هو الحق إذن .. هو الحق أن لى ولدا .. آن لى .. **(متراجعا)** أهو ولد يا بلقيس ؟

الملكة : أرجو أن يكون يا مولاى .

قارون : إنه ولد .. أنى أعرف ذلك ، إنه ..

(موسيقى)

صوت امرأة : ولى عهدك يا مولاى .

(موسيقى)

قارون : هيه يا سرور .. أرأيت اليوم .. إنها السعادة الكاملة .

سرور : مولاى أدامها الله عليك ، ولكن ...

قارون : بربك يا سرور بغير ولكن .

سرور : لا بد منها يا مولاى .. إن الولد لم يكبر بعد .. أهو الذرية التى كنت تريدها ؟ أنجبت ! أهو مثل أبيه ؟ أيستطيع أن يقوم على مالك وملكك غير مسرف ولا شحيح ، غير ظالم ولا ضعيف ... من يدرى مولاى ؟

قارون : **(فى تفكير)** سرور .

سرور : مولاى .

قارون : من الذى سماك سرور ؟

سرور : أبى يا مولاى .

قارون : أخطأ أبوك .

سرور : بل أصاب ... إن السرور أن تعرف الحق بلا وهم ولا تمويه .

قارون : إنك قادر على أن تقلب السرور تعاسة .

سرور : فاذكر يا مولاى يوم كنت أحاول أن أقلب التعاسة سرورا .

قارون : لم تفلح فى إدخال السرور إلى نفسى ، ولكنك فى إدخال التعاسة موفق كل التوفيق .

سرور : هو الحق يا مولاى .

قارون : أخشى والله أن أكره هذا الحق .

سرور : لن يخسر الحق يا مولاى .. وستخسر أنت .

قارون : إننى اليوم سعيد .. فاسعد معى يا سرور .. ودع الغد إلى الغد . إننى اليوم سعيد ..

سرور : مولاى جعل الله غدك أسعد من يومك ، ويومك أسعد من أمسك . فليس أحب لى يا مولاى من أن تكون سعيدا .. أن تدوم هذه السعادة .. أدامها الله يا مولاى .. أدامها الله يا مولاى .

(موسيقى)

قارون : **(فى حزن)** بلقيس أشيرى علىّ .. ماذا أفعل ؟

بلقيس : مولاى إنك الملك .. الأطباء فى أنحاء الأرض يتمنون أن يطيعوا لك أمرا .

قارون : وهل رأيت الطب أجدى فى مثل هذه الحال ؟

بلقيس : **(باكية)** بربك يا مولاى ، بحياتى ، بعض الأمل يا مولاى . بعض الأمل .. فمن يدرى ما يريد به الزمان ؟

قارون : إن الزمان قد أجمع أمره على السخرية منى ..

بلقيس : نحاول يا مولاى .

قارون : سنوات خمس نحاول ونحاول ... فما نفعت المحاولة شيئا .. أى خير يعود علينا إلا إحياء أمل ما يلبث اليأس أن يميته .. وليس أبشع من اليأس إلا الأمل يحيا ثم يموت .

بلقيس : بعض الصبر يا مولاى .

قارون : **(فى سخرية)** عجيب هذا الزمان .. أنا .. قارون .. أغنى ملك عرفه العالم .. أريد بعض الصبر فلا أجد .. ومع ذلك لا أجد إلا الصبر ملجأ .. فيا لى من غنى فقير ، ويا لى من ملك ذليل .. ألا من يبيعنى ولدا صحيحا بمالى وملكى ، ولكن كيف للبنين أن يباعوا ، إنهم قطعة منا .. منا نحن .

بلقيس : مولاى إن من أنجب مرة قد ينجب أخرى .

قارون : فإذا جاء أصم أبكم مثل الأول ؟

الملكة : مولاى بربك لا تزد الجرح ألما .

قارون : **(صارخًا)** ماذا .. أتخشين الحق ؟ أصم أبكم .. إنه الحق .

الملكة : **(فى ضراعة)** مولاى .

قارون : معذرة أنت لم يعودك أحد سماع الحق كما عودنى سرور أن أسمعه .

الملكة : بعض الشفقة يا مولاى .. بعض الشفقة .

قارون : **(فى تلطف)** نعم . معذورة أنت . أقسو عليك ومصيبتى فى ابننا

هى مصيبتك . بل لعلها عليك أشد .. ولكن اغفرى لى .. فأنت تدركين .

الملكة : غافرة يا مولاى .

قارون : أتمنى اليوم أن ...

الملكة : حذار يا مولاى .

قارون : ومم الحذر ؟ إن حياته كارثة عليه وعلى وعليك وعلى الملك .

الملكة : مولاى ، اذكر كم كنت تتوق إليه .

قارون : كنت أتوق إلى ابن لى لا إلى مسخ أصم أبكم لا يبين ولا يعى .

الملكة : مولاى ، إنها مشيئة السماء .

قارون : السماء رحيمة غير قاسية .

الملكة : لعل فى ذلك رحمة وأنت لا تدرى .

قارون : أين الرحمة ؟.. أين الرحمة فى والد يتمنى أن يموت ابنه الذى كان يتوق إليه ؟.. أين الرحمة فى ملك ماله لا يعد ولا يحصى ولا يستطيع أن ينال ابنا مثل أحقر مخلوق فى مملكته ؟.. أين الرحمة فى أمل كنت أهفو إليه وأتمناه فإذا هو حلم يتحقق وحين يتحقق نقمة قاتلة ؟.. أين الرحمة فى ألم عاصف كلما رأيته أو سمعت خطوات أقدامه ، فما أسمع منه غير خطوات أقدامه .. لا إن السماء رحيمة ، أرحم من أن تصيبنا بهذا البؤس والألم والشقاء .

الملكة : لعل غيره يعزيك يا مولاى .

قارون : غيره تقولين .

الملكة : إننى منذ أشهر يخيل إلى .

قارون : لا تزيدى الجرح يا بلقيس .. لا تزيدى الجروح .

الملكة : أيزيدها يا مولاى .

قارون : فكيف إن جاء الثانى مثل الأول ... أصم أبكم ؟

الملكة : السماء أرحم من هذا يا مولاى .. السماء أرحم من هذا .

قارون : فلتكن مشيئة السماء إذن ... لتكن مشيئة السماء .

موسيقى (تصاحب كلام الراوية)

الراوية : **وكانت مشيئة السماء وجاء الولد .. ولم يكن أصم .. لا ولم يكن أبكم بل كان صحيحا قويا فارسا شجاعا .**

(تنقطع الموسيقى)

قارون : نحمد الله يا سرور ، لقد جاء اليوم الذى تتم فيه سعادتى .

سرور : أدامه الله يا مولاى .

قارون : غير أنى أخاف على ابنى .

سرور : أيهما يا مولاى ؟

قارون : ابنى .. ألى غير ابن واحد ؟

سرور : بل لك اثنان يا مولاى .

قارون : ويحك يا سرور ما ترانى سعيدا إلا وذكرتنى بما ينغصنى .

سرور : ابنك يا مولاى .

قارون : إنه تعاستى الوحيدة فى الحياة .

سرور : مولاى ، إن السعادة لا تكتمل .

قارون : أعرف يا سرور .. إنه الحق .. إنه الحق دائما .

سرور : دائما يا مولاى .

قارون : ولكنى أخشى على ابنى السليم .. على رائد .

سرور : وما خشيتك عليه ؟

(صوت فتح الباب)

رائد : أبى هل أمرت أن أمثل بين يديك ؟

قارون : ما هذا الذى سمعت عنك يا رائد ؟

رائد : ماذا يا أبى ؟

قارون : سمعت أنك تخاطر بنفسك ، ولا تخاف الليل ولا تريد عن الصيد إلا وتصيبه .

رائد : إنما هى رياضة يا مولاى .

قارون : يا بنى إنك أمل بلادك وأمل أبويك . فحذار أن تحرك الرياضة إلى مصرع هذه الآمال التى تحيط به ، فقد أصبحنا شيوخا لا نطيق لهذه المصيبة احتمالا .

رائد : مولاى أمرك .

قارون : حذار يا رائد .. حذار يا بنى .

(موسيقى)

صوت : **(من بعيد)** وامصيبتاه . قتل رائد .. مولاى يا ملك الملوك .. قتل رائد .. مولاى .

(موسيقى)

(تصاحب كلام الراوية)

الراوية : **قتل الأمل البكر .. صرع الفتى اليافع .. اليأس والحزن والقنوط .. لم يجد مال قارون بل لعل المال زاد النار لهيبا فقد أصبح بلا وارث له ، إلا هذا الفتى الأبكم الأصم .**

(تنقطع الموسيقى)

قارون : صادق أنت يا سرور .. صادق أنت .. تعاسة هى الحياة .. تعاسة

كامنة .

سرور : مولاى ، أنا لم أقل هذا أبدا .

قارون : فقله إذن يا سرور فهذا هو الحق .

سرور : بل إنه بعيد عن الحق كل البعد .

قارون : أما ترى حالى يا سرور ؟ أما ترى ؟ لشيخ قضى حياته تتعلق آماله بفتاه أن يرث ماله وملكه .. ويبقى المال والملك ولا يبقى الفتى .

سرور : مولاى لا تستسلم للحزن ، فإن عليك أعباء لا بد لك أن تقوم بها .

قارون : دعنى وما بى يا سرور ، لا أريد أعباء ولا ملكا .

سرور : مولاى أنت لا تملك لهذا العبء دفعا .. فمن يقوم به إن لم تقم أنت ؟

قارون : ليكن ما يكون ، أما أنا فما أطيق يا سرور .. لا أطيق .

سرور : مولاى ، إن الأعداء يتربصون بنا شرا ولا بد لنا أن نجهز لهم قبل أن يدهمونا .

قارون : جهز لهم أنت ما تريد .

سرور : مولاى لم أكن يوما من الذين يقحمون أنفسهم فيما لا يحسنون أداءه ... الجيش جيشك وأنت أدرى الناس به ، ولا بد يا مولاى أن تقوم أنت بشأنه .

قارون : سرور ، بربك دعنى وحزنى .

سرور : إنك يا مولاى إن أعملت ذهنك فى شئون الدولة نفضت عنك هذا الحزن القائم واستطعت أن تخلص منه .

قارون : ولمن الملك بعدى ؟

سرور : للأجيال والقرون ... للأزمان القادمة ... للتاريخ يا مولاى .. فإنى أخشى أن يقول عنك التاريخ تسلم بلاده حرة وأسلمها ذليلة محتلة .

قارون : ألا يمهد لى التاريخ عذرا فى آمال شبابى التى قتلت ؟

سرور : مولاى إننا نحن ـ ونحن نحيا معك ـ لا نمهد لك العذر فكيف بالتاريخ وهو أصداء الوقائع ؟

قارون : ألا تلتمسون لى العذر ؟

سرور : الملك يا مولاى فوق العواطف والأحزان .

قارون : سرور دعنى بربك يا سرور .. لا أطيق .. لا أطيق .

(موسيقى)

سرور : مولاى ، الأعداء يجهزون الجيش .

قارون : دعنى بربك يا سرور .

(موسيقى)

سرور : الأعداء يا مولاى .

قارون : سرور إنى لا أطيق .

(موسيقى تنتهى بطبول حرب وجلبة وضجيج)

سرور : أدركنا يا مولاى .

قارون : وهل أطيق أن أدرك أحدا ؟

سرور : الأعداء يا مولاى يحيطون بنا من كل جانب ، فبربك يا مولاى إلا نجوت .

قارون : أنجو ؟.. ولمن أنجو ؟. وكيف أنجو ؟

سرور : مولاى ، لقد أتيت لك بملابس الرعاة .. فتنكر فيها يا مولاى

واخرج من المدينة .. اخرج يا مولاى .

قارون : أين زوجتى .. وأين ابنى ؟

سرور : هنا يا مولاى .. إنى مناديهم الآن .. البس أنت هذه الملابس حتى أناديهم .

موسيقى (قصيرة)

قارون : هلمى يا بلقيس .

الملكة : إلى أين ؟

قارون : نهرب .

الملكة : أما أنا فلا ؟

قارون : كيف ؟

الملكة : شيخة أنا أنتظر الموت وكأنه أمل لا سبيل لى إليه ... فاهرب أنت وابننا ، أما أنا فمقيمة هنا مع قبر ابنى لا أتركه .

قارون : لا أتركك أبدا .

الملكة : بل تتركنى .. فإنك إن أسرت أو قتلت بأيدى أعدائك فعار الأبد وهزيمة لشعب يتمثل فيك أملا ضخما .. أما أنا .. أما أنا .. ما أنا ؟ زوجة عقيم بل شر من زوجة عقيم ، مات السليم من أبنائى وبقى المريض .. دعنى أحقق أملى بالموت يا مولاى . بربك .

سرور : بربك إلا أطعت زوجك .. آه .. أصابنى السهم .. النجاة يا مولاى ... لقد بلغ أعداؤك القصر .

قارون : هلمى يا بلقيس . لات حين .

الملكة : **(فى نزعات الموت)** لا تحين أيها الملك فقد نفذ السهم إلى قلبى ... لقد شاءت السماء أن أموت إلى جانب ولدى ، وداعا

يا مولاى .

(موسيقى)

الراوية : **وخرج قارون من قصره ومعه ابنه الأصم الأبكم رفيق ولا رفيق ... ولد ولا ولد ... ويحك قارون لكم دارت بك الأيام ... فى ثياب الرعاة تخرج فارا وأنت من ملك أموال الأرض أجمعين .**

قارون : فأنت إذن كل ما بقى لى أيها الابن .. بقية ملك ومال وولد .. أنت بأذن لا تسمع ولسان لا ينطق .. أنت من بقى لى .. ليس لى غيرك .. غضبت منى الدنيا وأنا فى مجدى ومالى وسلطانى ، وازداد غضبى عليهما حين جئت أنت عاجزا عجزك هذا ، فإذا هى تسخر من غضبى وتسلبنى كل شيء إلا الشيء الوحيد الذى يزيدنى تعاسة وألما .. كم أحس بالجرم نحوك كلما رأيتك .. لماذا جئت بك إلى هذه الدنيا ؟ ولماذا بقيت فيها بعد أن جئت ؟ ألا تشهد ظلم الزمان لأبيك ؟ مسكين أنت حقا ؟.. أتعرف أنك عاجز ؟ أم لعلك لا تعرف ؟.. ويلى أخدع نفسى .. لكم رأيت الدموع جامدة فى عينيك ومنهمرة لا تطيق لها كتمانا .. إلى أين بنا الطريق .. يا بنى ؟.. إلى أين بنا الطريق ؟

الراوية : **وفى عرض الصحراء مشى الملك ومعه هذه النفاية التى تخلفت من ملك عريض ومال عديد وولد قوى . وبعد ألم وجهد لقى الملك خيمة .**

قارون : سلاما يا صاحب الدار .

صوت : سلاما أيها الغريب .

قارون : انقطع بنا الطريق فهل لمبيت لنا مكان ؟

الصوت : إن الأعداء تحيط بنا من كل جانب ، فكيف نعرف أنك لست منهم ؟

قارون : إننى لا أملك سلاحا .. والأعداء منتصرون . والنصر لا يتأتى لشريد فى الصحراء .

الصوت : ومن هذا الذى معك ؟

قارون : إنه ابنى .

الصوت : قوى هو شديد .

قارون : ولكنه أصم أبكم .. لا يسمع ولا ينطق .

الصوت : فادخلا .

قارون : أوحيد أنت ؟

الصوت : معى أخى .. ادخلا .

(موسيقى)

الصوت : إن هذا العربى يحمل مالا كثيرا فيما يخيل إلىّ .

الأخ : وكيف عرفت ؟

الأول : سمعت صليل الذهب تحت ملابسه وهو سائر .

الثانى : الذهب ؟

الأول : الذهب .

الثانى : فماذا تنتظر ؟ هلم نقتله .. أنائم هو ؟

الأول : إنه نائم .

الثانى : هلم بنا .

الأول : احذر أن يسمع أقدامك .

الثانى : ومم الحذر ؟ الأب نائم والابن أصم .. أبكم .. لو رأى ما استطاع أن ينطق .

الأول : فهات الحبل .

صوت : **(يحاول أن ينطق فهو ضعيف)** أبى .

الأول : أسرع .

الثانى : هل معك الخنجر ؟

الأول : ها هو ذا .

الثانى : هاته ... هاته .

الابن : حذار أيها اللصوص .. حذار .. إنه قارون .. إنه الملك ..

قارون : من ؟ أنت .

الابن : لقد حاولا أن يقتلاك .

قارون : **(باكيا)** أتنطق ؟ أتنطق يا بنى ؟

الأول : عفوك يا مولاى .

الثانى : عفوك يا مولاى .

قارون : عفوى وشكرى وحمدى .. لقد نطق ولدى .. لقد نطقت فى اللحظة التى أريدك فيها أن تنطق . لقد جعلت لحياتى معنى يا ولدى العزيز .. لقد جعلت يأسى أملا وتعاستى سعادة .. هلمّ بنا يا ابنى إلى الحياة .. لقد منحتنى السماء خير ما سلبه منى الزمان .. منحتنى ولدى .. منحتنى الحياة .. الأمل .. المستقبل .. إلى المستقبل يا بنى .. إلى المستقبل لقد أشرق لى الطريق الآن .. إليه .. يا أمل الشباب ..

* * *

الفصل السابع

« النصر المبين »

الراوية : **من الأمجاد ، من الأشعة الأولى لنور الإسلام من هذه الشواهق تعلو فلا يلحق بها نظر ، وتسمو فلا يهفو إليها فكر ، وإنما هى تهدى فنُهدى وتبيّن فنسير ، وتضىء فنرشد من القمم الباسقات للآباء والأجداد . وقف عندهم التاريخ العربى خاشعا فى إجلال ووقف دونهم التاريخ الغربى صاغرا فى ذلة . من العرب الأولين خلص إلينا تاريخهم نقيا نقاء إيمانهم باللّه ، رفيعا رفعة اعتناقهم للمبدأ . حاول المؤرخون أن ينالوا من تاريخهم ولكن الأدلة تكاثرت عليهم ، وانثالت إليهم الحجج إرسالا ، ولم يملكوا إلا الذهول والحيرة ، ولم يملكوا إلا الاعتراف أنه الحق .**

(موسيقى)

صوت : نراكم أيها العرب قد انسقتم وراء محن لا تعلمون فكرة ، ولا تنظرون إلى تاريخ الأنبياء لتعرفوا إن كان دينكم هذا على حق ، أم هو يسوق القول بغير حجة ولا برهان .

آخر : بل نراكم أنتم أيها اليهود منذ حل محمد بالمدينة لا تسكتون عن الإيقاع بيننا وإثارة الشكوك فى نفوسنا . وقد كان أولى بكم وأنتم أصحاب كتاب يدعو إلى التوحيد أن تنضموا إلى دعوة محمد وتؤيدوها .

الأول : لقد كنا واللّه خليقين بما تقول ، ولكننا نرى أمورا تجعل الشك فى

نفوسنا يغلب اليقين .

الثانى : وماذا ترون ؟

الأول : نرى محمدا .

(موسيقى)

الثانى : يقول اليهود يا رسول اللّه إنك هاجرت إلى المدينة و لم تتركها ، وأن الأنبياء جميعهم ذهبوا إلى بيت المقدس ، ويقولون إنه جدير بك أن تذهب إلى المسجد الأقصى لتكون من الأنبياء . فقال رسول اللّه : ﴿ قُلْ لِلّهِ المشرقُ والمَغْرِبُ يَهْدِى مَنْ يشاءُ إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وكذلكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهداءَ على الناسِ ويكُونَ الرسولُ عَلَيْكُمْ شهيدًا وَمَا جَعَلْنَا القِبلةَ التى كُنْتَ عَلَيْهَا إلاّ لِنَعْلَمَ مَنْ يتبعُ الرسولَ ممن يَنْقَلِبُ على عَقِبِيه وإنْ كانتْ لكبيرةً إلاّ عَلَى الذينَ هَدَى اللّهُ ﴾ « صدق اللّه العظيم » صدق الله العظيم أيها اليهودى .

الراوية : **ومضت سنوات يزيد مضيها شوق المسلمين إلى قبلتهم ومشرق الوحى على نبيهم ، وقد أصبح الحنين فى نفوس المهاجرين لاعجًا متوثبا إلى ملاعب صباهم ومعاهد شبابهم ومدارج الآمال الباكرة لحياتهم ، وأحس النبى بلواعج أصحابه فإذا هو يدخل عليهم وقد اجتمعت كثرتهم فى المسجد فيلقى إليهم سلاما فرحا مستبشرا .**

أصوات : وعليكم السلام يا رسول اللّه ورحمة اللّه وبركاته .

الراوية : **ويقول النبى : « لقد أذن اللّه لكم أن تدخلوا المسجد الحرام إن شاء اللّه آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون » .**

صوت : سبحان اللّه .

اخر : اللّه أكبر .

آخر : الحمد للّه .

آخر : محاربين ندخل المسجد الحرام يا رسول اللّه .

الراوية : **ويقول النبى : « أذنوا فى الناس بالحج » .**

آخر : متى يا رسول اللّه ؟

الراوية : **ويقول النبى : « فى ذى القعدة إن شاء اللّه »**

صوت : فى ذى القعدة يا رسول اللّه ؟ فى الشهر الحرام إذن .

آخر : فلا حرب إذن ولا سلاح .

آخر : سلاما ندخلها بإذن اللّه ...

لراوية : **وخرج المسلمون حول النبى وقد علموا أنه ما يريد إلا سلاما . إنما هى زيارة لبيت اللّه الحرام وما إن بلغوا ذى الخليفة حتى أحرم محمد فأحرموا معه وأصبح واضحا أن محمدًا إنما ينشر السلام فإنه لمحرم لا يبغى عدوانا ... ولكن من المشركين فرسانا أبوا أن يفهموا الوضوح وما بعجيب عليهم الزيغ فهم أنفسهم من عموا عن الإسلام .. يجتمع جمعهم ـ هان جمعهم ـ ويقول قائلهم : ذل قائلهم .**

صوت : ها قد أقبل محمد يغزوكم فى دياركم بعد أن دحركم حول الخندق .

صوت : وهل محمد بحاجة إلى أن يتشبه بالأنبياء فى هذه التوافه ؟

الثانى : يقولون إنه مادام المسلمون يجعلون المسجد الأقصى قبلتهم ، فلابد لمحمد أن يهاجر إلى المسجد الأقصى ، فيجعل من المدينة وسطا فى هجرته بين مكة والمسجد الأقصى .

الراوية : **وسأل النبى ذلك المتحدث : ألم تفهم ما يرمى إليه هذا اليهودى ؟**

اليهودى : فهمته يا رسول اللّه إنه يريد أن يشعلها فتنة بيننا .

الراوية : **وكان ذلك هو ما أراده اليهود ، ولكـن هيهـات إنهـم يمكـرون ويمكر اللّه ، وإن ربك لأشد مكرا .**

(موسيقى)

الثانى : اسمع أيها اليهودى لقد دحض اللّه فتنتك .

اليهودى الأول : وكيف أيها المسلم ؟

الثانى : لقد أنزل آياته عز شأنه فجعل الكعبة هى قبلتنـا . اسمع مـا يقـول « بسم اللّه الرحمن الرحيم » ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فى السَّماء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المَسْجِدِ الحرامِ وَحيثُمَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَه ﴾ .

الثانى : فقبلتكم الكعبة إذن ؟

الثانى : إنها قبلتنا .

الراوية : **وهكذا يميل ..**

(موسيقى)

الثانى : يقول يا رسول اللّه وهكذا يميل بكم محمد من قبلـة إلى قبلـة وأنتـم وراءه ، لا تـدرون لمـاذا كـان المسـجد الأقصـى قبلتكـم ؟ ولمـاذا أصبحت الكعبة قبلتكم ؟ .. ألا تسألون .. ألا تفهمون ؟!

الراوية : **وقال النبى لمن يحادثه : « وفهمت ما يرمى إليه » ؟**

الثانى : فهمته يا رسول اللّه ، وهل يريد إلا الوقيعة والفتنة .

الراوية : **وكان ذلك هو ما أراده اليهود ، ولكـن هيهـات إنهـم يمكـرون ويمكر اللّه ، وإن ربك لأشد مكرا .**

(موسيقى)

الثانى : لقد جاءك الجواب أيها اليهودى .. قد جاءك الجواب .

اليهودى : وأين هو ؟

الثانى : **اسمع « بسـم اللّـه الرحمـن الرحيـم » ، « سَيَقُولُ السُّفَهاءُ مِنَ الناسِ مَا ولاَّهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتى كانُوا عَلَيْها »**

(موسيقى)

آخر : واللّه لئن دخل مكة اليوم فهيهات هيهـات لكـم أن يخـرج بعدهـا أبدا .

آخر : واللات لا يدخلها أبدا .

آخر : يقولون إنهم يريدون أن يدخلها مسالما فلا عدوان ولا وقائع .

آخر : أفننتظـر إذن أن يدخـل مكـة ، ثـم ننظـر إن كـان يريـد سـلاما أم حربا ؟

آخر : إذن فهو عار الأبد وخزى الدهور .

آخر : بل إننا نخشى أن يكون محمد يضمر لنا المكر والخديعة .

آخر : واللّه يخيل إلى أنه يضمر السلم حقا ، فقد علمت أنه دعـا العـرب من غير المسلمين إلى الزيارة معه .

آخر : وأين السلام فى هذا ؟

الأول : إن من ينوى الحرب لا يدعو إليها إلا الذين يثق فى إخلاصهم .

آخر : إنه قد أحرم .

الأول : لأخشى أن يكون السلاح فى ثياب إحرامه .

أخر : إخالك واهما ؟

الأول : إننا لن نسمح لمحمد أن يطأ مكة .

آخر : فنجهز جيشا ونلتقى بمحمد .

الأول : إن الجيش معد فها أنت ذا ترى شباب قريش مجتمعا إليك منذ علم

أن محمدًا فى طريقه إلينا .

آخر : فمن نولى عليه ؟

الأول : جبار الحروب وعمادها .

آخر : أخالد بن الوليد تريد ؟

الأول : إياه أردت .

آخر : أرى خالدا يتسمع أنباء محمد فى تشوق وكأنى به يكاد يؤمن بالدين الجديد .

الأول : أراك محقا فيما تقول ؟ فلو أننا عقدنا لعكرمة بن أبى جهل معه حمدنا العقبة ووثقنا أنا سنواجه محمدا بقوة شديدة ...

آخر : الرأى رأيك .. هو ما قلت .

الأول : فليكن خالد إذن وعكرمة بن أبى جهل هما قائدا الجيش .

(موسيقى)

الراوية : **وسار جيش الكفار حتى بلغ ذا طوى وأقام عسكره هناك ، أما محمد فقد سار بجيشه حتى بلغ عسفان ، وهناك لقيه رجل من بنى كعب .**

(موسيقى)

الراوية : **فسأله رسول الله عن أخبار مكة .**

صوت : قد سمعوا بمسيرك فخرجوا وقد لبسوا جلود النمور ونزلوا بذى طوى يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبدا . وهذا خالد بن الوليد فى خيلهم قدموها إلى كراع الغميم .

الراوية : **فقال رسول الله : « يا ويح قريش لقد أهلكتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلوا بينى وبين سائر العرب ؟ فإن هم أصابونى كان ذلك الذى أرادوا ، وإن أظهرنى الله عليهم دخلوا فى الإسلام**

وافرين . وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ، فما تظن قريش ؟ فوالله لا أزال أجاهد على الذى بعثنى الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة » .

صوت : أعناقنا فداك يا رسول الله .

آخر : مرنا فنحن نفاذ أمرك وتحقيق كلمتك .

آخر : أنحارب يا رسول الله ؟

آخر : إن شئت يا رسول الله حاربنا . إلا أن لى رأيا أتأذن لى أن أقوله .

الراوية : **قال النبى : « قله » .**

آخر : إنهم يعلمون أننا لم نخرج لحرب فنحن على غير عدة وسلاح . وإنهم - يا فداك أبى - يبذلون غاية الجهد ليشتبكوا معنا فى حرب ، فلو أننا هيأنا لهم هذه الفرصة ...

آخر : نعم ، إنك محق لو تهيأت لهم الفرصة وانتصروا فى حربهم الظالمة هذه لراحوا يتشدقون بنصرهم بين العرب .

الآخر : إنهم لم يرسلوا خالدا وعكرمة إلا ليبدأوا سبيلا إلى حرب هم لا يعلمون أننا لم نعد لها .

آخر : إننا لنحمل سيوفنا وإيماننا ، فهلم بنا هلم ولن نتعب خالدا ولا عكرمة فى بدء الحرب . سنكون البادئين فإنهم هم المعتدون .

آخر : فداك يا رسول الله ، فداك . وما الإعداد للحرب غير السيف وهو بيدنا ، وغير الإيمان وهو أرسخ فى قلوبنا من شم الجبال .

آخر : لقد أردنا سلاما وأرادوا هم حربا ، فهلم إليها فإنما النصر من عند الله وإننا نحن .. نحن أتباع الله .

الراوية : **ولكن رسول الله رأى أنه لو خرج عن سياسة السلم التى أعد لها إلى سياسة الحرب التى يجهد الكفار على أن يريدوه عليها ،**

لو فعل لأتاح لكفار قريش فرصة يشيعون بها بين العرب أن محمدا حارب فى الأشهر الحرم ، وأنه حارب عند البيت الحرام وهو بعد لا يضمن النصر . فإن يكن المسلمون حوله يفيض بهم الإيمان إلا أن أبناء قريش أيضا إذا حاربوا اليوم فإنما هم يحاربون عن شرفهم أجمع تعتلج فى نفوسهم أحقاد الأمس يوم هزموا عند الخندق ، وذلة اليوم فى مهاجمة محمد لهم وهم فى أحضان مكة ، وخشية الغد إذا دخل محمد مكة عليهم عنوة فهم إذن فى هوان مقيم . قدّر عليه الصلاة والسلام هذا جميعه فأزمع على أن يظل على سلمه الذى أراده لنفسه فلا يميل إلى الحرب التى يريده عليها الكفار فهو يقول : « مَنْ رجل يخرج بنا عن طريق غير طريقهم التى هم بها ؟ » .

صوت : إنى يا رسول اللّه أعرف طريقا .

آخر : إنها طريق شاقة تلك التى تقصد إليها .

آخر : أى شاق يا أخا العرب ؟ إننا أبناء صحراء لا يشق علينا طريق .

(موسيقى)

الراوية : **وسار المسلمون فى طريق يتلوى بين الشعاب ، وقد جهد المسلمون حتى بلغوا عند منقطع الوادى ، ثم مالوا منه إلى أيمنه فبلغوا ثنية المراد مهبط الحديبية من أسفل مكة . وما رأى جيش الكفار هذا حتى رجعوا إلى مكة ليدافعوا عنها إذا أراد المسلمون دخولها ، وكان النبى على ناقته القصواء فما أن بلغت الحديبية حتى بركت .**

صوت : لقد جهدت يا رسول اللّه ، أجهدها طول الطريق ووعورته .

الراوية : **فقال النبى : « إنما حبسها حابس الفيل عن مكة » .**

آخر : حابس الفيل ؟

آخر : نعم يا أخى ، حابس الفيل الذى منع أبرهة أن يهدم الكعبة . ألا تعرف أن الفيلة يومذاك لم تستطع أن تمس الكعبة بسوء على الرغم من تحريض راكبيها لها .

آخر : فذاك إذن حابس الفيل .

آخر : إنه هو وقاء مكة وحصن الكعبة .

الراوية : **وقال النبى « معلنا السلم » : لا تدعونى قريش إلى خطة يسألونى فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها » ... انزلوا هذا المكان .**

صوت : ولكننا يا رسول اللّه فى مكان لا ماء ولا رى ولا هو يصلح لمقام .

الراوية : **فأخرج عليه الصلاة والسلام سهما من كنانته وقال لأحد مرافقيه : انزل فى بئر من هذه الآبار التى حولنا واضرب فيها بسهمى هذا .**

صوت : ولكنها آبار جفت يا رسول اللّه .

الراوية : **فقال النبى : فانزل .**

الصوت : أمرك يا رسول اللّه .

الراوية : **ونزل الرجل وضرب السهم .**

أصوات : الماء ... الماء ... الرى ... الرى ... اللّه أكبر ... صلى اللّه على محمد .

(موسيقى)

الراوية : **واجتمع كفار قريش يتفاوضون الأمر بينهم حتى وافاهم بديل ابن ورقاء وكان يلم بجيوش المسلمين فابتدروه سائلين :**

صوت : هيه بديل .

الصوت : فما مجيئهم ؟

بديل : زيارة البيت وتعظيم حرمته .

الصوت : أشهد أنا لا أرى أثر العنوة فى دخوله ، بل هم قوم يقفون من الكعبة موقف التكريم لا يدخلونها محاربين .

بديل : كنت هناك ولقد رأى محمد حليس .

الصوت : أكنت هناك حين أرسلنا حليس ليفاوض محمدا قادما ، فأمر بالجمال فأطلقت ليرى حليس إنها جائعة وإنها لا تنتهك حرمات مكة . وقد رأى رسولكم حليس الجمال فعاد سبيله إليكم .

حليس : أما أخبرتكم أنه السلم ما يريد محمد ولن يحيد عنه أبدا ؟

صوت : إنما أنت يا حليس سيد قومك ولست من قريش ولا من خالصة العرب ، فأنت لا تعلم من الأمر شيئا .

حليس : لقد حالفتكم لأذود عن البيت الحرام ، ومذ حالفتكم لأرد عنه من جاءه معظما فمنذ اليوم لا حلف بيننا .

صوت : أغضبت يا حليس ؟

حليس : وكيف لا أغضب للكعبة تذودون عنها مكرميها ، وتردون القاصدين إليها ؟!

صوت : إنه يا حليس إن دخل الكعبة اليوم زالت عن قريش السدانة والسقاية ، وتساقطت عنها أمجادها كالأوراق الجافة يساقطها الريح العاصف .

حليس : فلا حلف بيننا .

صوت : بل اصبر علينا يا حليس فندبر أمرنا وننظر فيه .

بديل : لقد طال بكم التدبير والنظر ، والله لتطالعكم العرب غدا بقالة

تثبتوا لها . إنهم قائلون : « قريش ترد عن الكعبة الحجيج » .

الصوت : نرسل رسولا آخر يفاوض محمدا .. نرسل إليه عروة بن مسعود الثقفى .

عروة : لا والله لست بذاهب .

الصوت : و لم يا عروة ؟

عروة : أراكم تلقون رسولهم بشر مما يلقى به رسولكم ، إذا هو جاءكم بالأخبار التى لا ترضيكم .

الصوت : إنك عندنا غير ظنين يا عروة ، ولن تجد فى لقائنا إلا الخير فاذهب إليه وسله ماذا يريد ؟

(موسيقى)

الصوت : هيه عروة ماذا رأيت ؟

عروة : يا معشر قريش ، إنى جئت كسرى فى ملكه وقيصر فى ملكه والنجاشى فى ملكه ، وإنى والله ما رأيت ملكا فى قوم قط مثل محمد فى أصحابه . لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه ، ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه ، وإنهم لن يسلموه لشيء أبدا فانظروا رأيكم .

الصوت : ماذا لقيت ؟

عروة : ذهبت إلى محمد .

(موسيقى)

عروة : يا محمد ، إن مكة أهلك ومكانك ، إن تنصفها وأهلها المقيمين بها على من جمعت من أوشاب الناس .

الراوية : **فقال أبو بكر : بل هم سادة الناس يا عروة وإن رغمت أنوف**

وة : فإذا انصرف هؤلاء عنك يا محمد ؟

الراوية : **فقال أبو بكر : هيهات أن ننصرف عنه يا عروة ، إنما نحن ومضة من إشراقته ولمحة من رضى ربه لا منصرف لنا عنه .**

عروة : فواللّه ما أرى شيئا يبقى على الزمان ، إلا العار لاحقا بقومك من قريش إن أنت اقتحمت عليهم الكعبة اليوم .

صوت : يدك عروة . (**صوت صفعة هينة**) .

عروة : فهل تركتنا محمد فى عامك هذا ؟

صوت : يدك عروة (**صوت صفعة هينة**) .

الراوية : **وقال رسول اللّه : إنه لم يأت إلا لسلم يريد زيارة الكعبة ولمس أركانها .**

(موسيقى)

عروة : فجئت إليكم . أتعلمون من كان يقف إلى جوار محمد ؟

صوت : من ؟

عروة : المغيرة بن شعبة . وكنت إذا أمسكت بلحية محمد وأنا أحادثه ضربنى المغيرة على يدى وهو يقول : يدك عروة ، فاترك لحية محمد .

صوت : المغيرة بن شعبة يضرب يدك أنت ؟ يدك التى دفعت عنه ثلاث عشرة دية عن قتلى قتلهم .

عروة : هو المغيرة . لا واللات لا كسرى ولا قيصر ولا النجاشى بملاق ما يلاقيه محمد من قومه .. انظروا أمركم .

صوت : يا رسول اللّه ... يا رسول اللّه ... لقد طالما شكونا إليك من سفهاء مكة يخرجون فى بهيم الليل ويرمون خيامنا بالحجارة . فالليلة قد خرج علينا منهم نفر كبير فأسرنا منهم أسرا وبيلا .

الراوية : **وسأل النبى : وأين الأسرى ؟**

(موسيقى)

صوت : الآن قد أسفر الشك عن اليقين .

آخر : ماذا ؟

الصوت : أما ترى محمدا قد أطلق أسرى مكة بعد أن وقعوا فى يده ، فمالنا نجادل الآن ؟

آخر : إنه السلم ما يريد .

آخر : ماذا تريد ؟

آخر : فلنخل له السبيل فيزور .

آخر : فواضيِّعتا لنا ، لنا بين العرب .

آخر : بل لا واللّه فإننا إن أصبنا محمدا بسوء بعد أن أطلق أسرانا ، كنا بين العرب غادرين لا وفاء لنا .

آخر : بل نمنعه .

آخر : بل نتركه .

آخر : بل نمنعه .

موسيقى (تصاحب المشهد)

الراوية : **واجتمع المسلمون حول محمد يتفاوضون الأمر حتى انتهى بهم الرأى أن يرسلوا عثمان بن عفان إلى رجال مكة رسولا يحمل إليهم رغبة محمد وصحابته فى الحج . وذهب عثمان إلى أبى سفيان .**

أبو سفيان : فيم قدومك عثمان ؟

الراوية : **فقال عثمان : إنما جئنا لنزور البيت العتيق ولنعظم حرمته ولنؤدى فرض العبادة عنده وقد جئنا بالعير معنا ، فإذا نحرناها رجعنا بسلام .**

أبو سفيان : يا عثمان ، إذا شئت أن تطوف بالكعبة فطف .

الراوية : **فقال عثمان : ما كنت لأفعل حتى يطوف رسول اللّه .**

أبو سفيان : فأنا أقسمنا ألا يدخل محمد مكة فى عامنا هذا عنوة .

الراوية : **فقال عثمان : ولكنه لا يدخل عنوة .**

أبو سفيان : فإنا أقسمنا وما دمنا ...

(موسيقى)

صوت : لقد قتلوا عثمان .

آخر : قتلوه ؟

آخر : لقد قتلوا رسولنا إليهم بعد أن أطلقنا نحن أسراهم .

آخر : قتلوا زوج بنت رسول اللّه .

آخر : لا نسكت بعدها أبدا .

آخر : فى ظلال الكعبة .

آخر : لقد لوثوا أمنها وهتكوا حرمتها .

آخر : هيهات نسكت هيهات ... لا نبرح حتى نناجز القوم .

آخر : إلى السيوف .

آخر : قتلوه فى الشهر الحرام .

اصوات : إلى السيوف .

الراوية : **ودعا النبى أصحابه فإذا هو حوله جواب دعوته ، وكلمته إذا قال ، وإرادته إن أراد ، دعاهم إلى البيعة فأنفسهم لدعوته تلبيه . لبيك رسول اللّه ، لبيك من قلوب آمنت بك . وهل بعد الإيمان رضى يا رسول اللّه ؟ لقد أقررت منها ثائرا من الكفر فهى فى هدأة الإيمان . لبيك لبيك يمدون أيدهم إلى يديك . عزت يدك وأيديهم . وتمد أنت يدك الثانية يا رسول اللّه لتكون يدك الثانية**

هذه بديلا عن عثمان بن عفان الغائب عنك ... دعوت فهم جميعا لبيك . ودعوت تحت الشجرة ... وهم فى كل مكان لبيك ... لبيك يا رسول اللّه . وتمت البيعة تحت الشجرة لا يغمد واحد منهم السيف أو يقتل ... وإنهم الرابحون يا رسول اللّه تبدلهم عُليا بدنيا وخالدة بفانية ... هم الرابحون يا رسول اللّه فلبيك ... لبيك فى بيعة الرضوان . ونظر ربك من عليين فرأى الأيدى مجتمعة على يد النبى . قلوبهم هى أيديهم ، أرواحهم هى بيعتهم ، فيترك قوله عز قوله : « بسم اللّه الرحمن الرحيم : ﴿ لقد رضى اللّه عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا ﴾ صدق اللّه العظيم » .

(أصوات فرح)

صوت : قد جاء عثمان ... قد جاء عثمان .

الراوية : **جاء عثمان ولم تعد ثمة حاجة لحرب ، ولكن هذه البيعة ظلت ذكرى كريمة تلوح للنبى عليه صلوات اللّه إليها . كرمها القرآن فخلدها الزمان . وسأل محمد عثمان عما يقوله القوم فقال : لا يقبلون ولكنهم سيفاوضونه على خطة يرضاها .**

(موسيقى)

أبو سفيان : نرسل إليه سهيل بن عمر فيوثق بيننا صلحا .

صوت : الرأى ما تقول .

آخر : أنؤمن تجارتنا القادمة عن طريق المدينة ؟ و ...

(موسيقى)

سهيل : صلحا بيننا يا محمد .

الراوية : **ويسأل النبى : وعلام الصلح ؟**

سهيل : ترحل عنا فى عامك هذا وتحج فى العام القادم و ...

(موسيقى)

الراوية : **وقبل محمد ما يريدون فهو يدعو إليه على بن أبى طالب وسهيل بمشهد : « ويملى النبى على علىّ** : بسم اللّه الرحمن الرحيم » .

سهيل : أمسك ، لا أعرف الرحمن الرحيم بل اكتب باسمك اللهم .

الراوية : **ومن أين لهم أن يعرفوا الرحمن الرحيم ؟ ولكن هو اللّه جلت أسماؤه وتعددت . ويملى محمد : « باسمك اللهم . هذا ما صالح عليه محمد رسول اللّه سهيل بن عمرو .**

سهيل : أمسك ، لو شهدت أنك رسول اللّه لم أقاتلك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك .

الراوية : **إن النصر على النفس هو أروع غايات النصر . لم يثر النبى عليه ولم يعارضه وإنما يكظم غيظه وينفذ ما يوحى إليه فهو يقول : أنا عبد اللّه ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعنى . وأملى لرسول اللّه الرسول صلح الحديبية يهادن فيه قريشا عشر سنين على أن يرد الرسول من يجيئه من قريش مسلما بغير إذن من وليه ، ولا ترد قريش من يجيئها من المسلمين ، وإنه لا جناح على من يريد مخالفة الرسول من العرب ، ولا جناح على حليف قريش . وأن يرجع محمد فى عامه هذا ويعود بعد فى العام الذى يليه فيدخل ومن معه إلى مكة ويقيم بها ثلاثة يحملون من السلاح السيوف فى أغمادها . وما أن تم الصلح حتى :**

صوت : لبيك يا رسول اللّه إنى أشهدك أنى مسلم .

سهيل : من ولدى أبو جندل ... ماذا تريد ؟

أبو جندل : أشهد ألا إله إلا اللّه وأن محمدا رسول اللّه . إليك محمد إليك .

سهيل : بل أقصر أيها الأحمق وارجع .

أبو جندل : (**صائحا**) يا معشر المسلمين ، أتردوننى إلى المشركين يفتنوننى فى دينى ؟!

سهيل : أقصر لعنتك الآلهة .

أبو جندل : لعنت آلهتكم ... أتضربنى وتزجرنى أن أقول ربى اللّه ؟ .. إلىّ محمدًا إلىّ .

الراوية : **ويرى محمد هذا المسلم الجديد ، ولكنه كان قد ارتضى عهدا فهو لا ينقضه ويقول : « يا أبا جندل ، اصبر واحتسب . فإن اللّه جاعل لك ولمن معك من المستضعفين مخرجا . وإنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد اللّه . وإنا لا نغدر بهم .**

أبو جندل : إلىّ محمد إلىّ ...) (**يضعف الصوت**) إلىّ محمد إلىّ ... (**ويزداد ضعف الصوت**) إلىّ محمد .. إلىّ محمد ...

(موسيقى)

الراوية : **وقام الرسول مع أصحابه ، ثم صلى فاطمأن قلبه إلى أن الصواب هو ما فعل . وهل يصدر عن الهدى .. ثم قام إلى بعيره فنحره ثم جلس فحلق رأسه إيذانا بالعمرة وحلق الناس معه وأتموا العمرة وقاموا يتهيأون للمسير .**

صوت : غير راض أنا ، شهد اللّه عن هذا الصلح .

آخر : يا أخى ، اصبر فالسنون قادمةٌ والخير معقود بها . ومهما تكن الأمور آزمة فلابد لها يوما من فرج .

الأول : أشهد اللّه إنى غير راض .

الثانى : بل ارض يا اخى ، فلقد ربحنا والله أن نحج كل عام فلا يتعرض أحد لنا بشر ، وربحنا أن نحالف من العرب من نشاء ولا تتعرض قريش لحلفائها . والأيام مخفيات عنك من الخير ما لا تعلم .

الأول : انظر ، لقد نزل الوحى على النبى .

(موسيقى)

الراوية : **وأوحى الله إلى رسوله سورة الفتح « بسم الله الرحمن الرحيم » : ﴿ إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما﴾ صدق الله العظيم .**

الأول : الله أكبر ... إنه النصر ... إنه الفتح

الثانى : إى وربك إنه الفتح المبين ...

* * * * *

الفصل الثامن

« عودة وغفران »

تخفت الموسيقى وتظل ملازمة للمشهد

ناعسة : حياك الله يا حارث ، فأنت نعم الزوج .

حارث : بل حياك أنت يا ناعسة .. فلقد والله جعلت حياتى متعة .

ناعسة : لقد مهد الحب للزواج .

حارث : وامتد الحب بعد الزواج يا ناعسة ...

ناعسة : طالما خشيت والله أن يكون الزواج بيننا هو نهاية حبنا ... ولكن حياك الله حارث فقد بقيت على حبك الذى كان .

حارث : وبقيت أنت على حبك ناعسة .

ناعسة : فظللنا وكأننا ما نزال هناك نلهو بضياء القمر ، وهو يلقى إلينا بخيوطه ، فإذا هى حولنا مضاءة نمد إليها أيدينا نحاول أن نمسكها فتنضم أصابعنا على النور فإذا هى فضاء . كنا نرى ضوء القمر ولا نطيق أن نمسكه ، كنا نرى فيه حبنا الذى تجسم يكاد يتجسد أمام أعيننا ، ثم نحن لا نعرف من أين ينبت .

حارث : هناك على الرملات الحبيبة ، على سفوح الكثبان كنا حبا ... لم تكن أجسامنا وأنفاسنا ولعبنا وجدنا إلا حبا . كنا الحب أحسه الناس معنى وتجسد فينا كلينا حبا .

ناعسة : فإذا أجسامنا تكاد تشف فتذوب فى ضياء القمر فتصبح ضياء مع الضياء ، أو نسيما مع النسيم .

حارث : ما أحلى الأمسيات .

ناعسة : وما أحلى الذكريات .

حارث : رعاك اللّه ناعسة ، ذكرت الخير عنى و لم تذكـرى فقـرا شـقيت بـه فى حياتك إلى جوارى .

ناعسة : حذار يا حارث أن تعود إلى هذا الحديث . إنما الفقر هــو الحاجـة ، أما ونحن نستر بقليل مالنا حياء وجوهنا ، أمـا ونحـن لا نطلـب مـن أحد شيئا فنحن والحمد للّه فى وافر من الغنى .

حارث : لك اللّه يا ناعسة . وأين منك هذا الغنى ؟ أحسبتنى غبيا ؟

ناعسة : الغنى يا حارث فى أننا نجد قوت يومنا ، ونجد الملبس الذى يسترنا .

حارث : أى قوت وأى ملبس ؟ وأنت الفتاة فى ربيع الحياة ، وأنا الشاب فى نضرة الشباب ، إنما نريد الأكل الوفير ولا نصيب إلا القليل . ونريد الملبس الفاخر فلا ننال إلا الحقير . إنه البؤس يا ناعسة .

ناعسة : بل هو النعيم . ومـا أخشـى واللّـه إلا قلقـك هـذا وعـدم رضـاك ، وتبرمك بحياتنا وهى أهنأ ما تكون .

حارث : إنما الهناءة فى الغنى يا ناعسة .

ناعسة : بل فى الحب يا حارث .

حارث : لا يفارق ضوء القمر خيالك .

ناعسة : ولا يفارق ضوء الدينار خيالك .

حارث : الدينار حقيقة .

ناعسة : والقمر حقيقة .

حارث : الدينار حقيقة فى الأرض ، ونحن فى الأرض .

ناعسة : والقمر حقيقة فى السماء ، ونحن إلى السماء .

حارث : خيال .

ناعسة : لأنى أخشى عليك الحقيقة .

حارث : تهربين منها .

ناعسة : بل أتجاهلها مادام علمى بها لا يفيد .

حارث : أما أنا فأعرفها وأحسها وألمسها ، وأثور عليها وأسعى إلى تغييرها ، لابد من الغنى .

اعسة : أما يكفيك الستر مع الحب ؟

حارث : بل لابد من الغنى .

(موسيقى تنتهى بطرق على الباب)

نائلة : من يطرق الباب ؟

حارث : أنا

نائلة : **(وهى تفتح الباب)** ومن أنت ؟

حارث : حارث .

نائلة : وما تريد يا حارث ؟

حارث : أحسن كل عمل ولا أجد عملا . وقيل إنكم تطلبـون رجـلا يقـوم على أعمالكم فى الزراعة .

نائلة : ومن أنبأك ؟

حارث : صديقى هشام الخضرمى .

نائلة : فانتظر حتى أدعو أخى .

حارث : إنى منتظر .

(جملة موسيقية)

أسامة : ادخل يا حارث .

حارث : السلام عليك يا سيدى ورحمة اللّه .

أسامة : أبلغتنى أختى أنك تريد أن تعمل لنا ؟

حارث : إى واللّه .

أسامة : وهل عملت قبل اليوم فى مثل هذا ؟

(موسيقى)

حارث : شكرا يا هشام .

هشام : خيرا يا حارث .

حارث : لقد قبل سيدى أسامة أن أعمل له وسيجزل لى المكافأة . وقد طلب إلىّ أن أذهب الساعة إلى ضياعه .

هشام : هنيئا يا حارث .. هنيئا لك .

حارث : فبربك هلا قصدت إلى زوجتى ناعسة ، وأنبأتها أنى قد عملت .

هشام : أفعل يا حارث .

حارث : وقل لها ...

(موسيقى)

هشام : فهنيئا لك يا ناعسة .

ناعسة : (**فى صوت لا يبين فيه الفرح**) شكر اللّه لك يا هشام .

هشام : ولقد أنبأنى أنه سيتأخر عنك يومين أو ثلاثة أيام .

ناعسة : وأين يعمل ؟

هشام : عند أسامة بن يعقوب .

ناعسة : ذلك الغنى الواسع الغنى ؟

هشام : نعم .

ناعسة : ولكن لأسامة ضياعًا كثيرة وأموالاً ضخمة . أيستطيع الحارث أن يقوم بهذا العمل جميعه ؟

هشام : يستطيع لاشك .

ناعسة : وأين بيت أسامة ؟

هشام : بجانب دكانى .

ناعسة : ولكن ألم يستطع الحارث أن يأتى إلىّ لينبئنى هو ؟

هشام : لقد طلب إلىّ أن أفعل هذا عنه ، لأن أسامة صحبه إلى الضياع من فور

ناعسة : شكرا هشام .

هشام : لا شكر بيننا يا ناعسة . أنت تعرفين مكانك منى .

ناعسة : (**فى جد**) شكرا هشام .

(موسيقى تنتهى بطرق على الباب)

أسامة : من يطرق الباب ؟

ناعسة : أنا .

أسامة : (**وهو يفتح الباب فى دهشة وإعجاب وترحيب**) مرحبا أيا تكونين ومهما تكونى .

ناعسة : (**فى جد**) إننى زوجة الحارث .

أسامة : زوجة من ؟

ناعسة : زوجة الحارث .

أسامة : أى حارث سعيد هذا الذى أنت زوجته ؟

ناعسة : الحارث بن زياد الذى يعمل لكم .

أسامة : هذا الحارث ... أنت بكل جمالك هذا زوجة الحارث الذى يعمل عندنا .

ناعسة : (**فى صرامة**) ويشرفنى يا سيدى أن أكون زوجته ؟

أسامة : (**فى سخرية**) ويشرفك أن تكونى ؟

ناعسة : (**فى صرامة**) سمعت يا سيدى أنك غنى . حسبت أن المال يهذب النفوس .

أسامة : (**فى جد**) سيدتى ، إنه مهما تكن النفوس مهذبة ، فإنها لا تطيق

أن ترى هذا الجمال الآسر ولا تعرب عن إعجابها .

ناعسة : إنك فارغ أيها السيد ، تحسب أن تسخر من الناس ولست بمن تقبل أن يسخر منها أو من زوجها أحد مهما يكن هذا الأحد أنت .

أسامة : (**فى جد**) أنا لم أسخر منك أو من زوجك أيتها السيدة . ولكننى أعجب أن يتزوج هذا الجمال كله (**فى سخرية**) حارث مجرد حارث .

ناعسة : إن الحارث يا سيدى رجل لا يعرض لنساء الآخرين .. ولا يسخر من فقر الرجال ، ولا يزهى بماله كما تزهى أنت .. لقد وهب اللّه لك المال ليمتحنك به ، فويل يا سيدى فما رأيت رجلا أساء استعمال ماله كما تفعل .

أسامة : وماذا فعلت ؟

ناعسة : جعلت منه زهوا وكان عليك أن تجعل منه أخلاقا ومروءة ، وجعلت من الفقر سخرية وكان عليك أن تجعل الفقر مجالا لإظهار كرمك .

أسامة : لو شئت واللّه وهبت لك من المال فوق ما تطيقين حمله .

ناعسة : خسئت لست بذاك .

أسامة : ألى هذا الكرم ؟

ناعسة : فلمن إن لم يكن لك ؟

(موسيقى)

نائلة : خيرا .. من تلك التى تحادثها فتطيل الحديث .

ناعسة : إنه يا سيدتى .

نائلة : ومن أنت يا أخت ؟

ناعسة : أنا زوجة الحارث الذى يعمل لكم جئت أسال عنه ، فقد أنبأنى أنه

سيغيب يومين فغاب أسبوعا . قصدت إلى صديقه هشام أسأله عنه فلم أجده فجئت إليكم فلقينى هذا الرجل .

نائلة : أما تعرفين هذا الرجل ؟

ناعسة : يقول إنه أسامة وما أظنه أسامة .

نائلة : ولم ؟

ناعسة : فيه من خلق العبيد وما فيه من خلق الأحرار .

نائلة : لك اللّه أسامة ، لقد أسأت إلى ضيفة فعذرا يا أخت .. اذهبى أنت إلى منزلك وسأرسل أنا إلى الحارث .. لا عليك يا أخت .. لا عليك !

ناعسة : شكر اللّه لك يا سيدتى ، شكر اللّه لك .

(موسيقى)

الحارث : بشراك ناعسة ، أصبحت الغنى الوافر والحظ السعيد . هاك هاك بعض مالى . بشراك ناعسة .

ناعسة : بل لا بشرى : فإنك تتركنى الأيام الطوال والبيت وحيد ، وأخشى أن يدخل لص يسرق المال أو يسرق ..

الحارث : أو يسرق ماذا ؟

ناعسة : أثاث المنزل .

الحارث : لا عليك ، فنحن فى موسم المحصول فإذا انتهى الموسم فسأكون إلى جوارك ليل نهار .

ناعسة : أخشى أن يطول موسم المحصول إلى آخر العمر يا حارث .

الحارث : ما هذا القول يا ناعسة ؟

ناعسة : أخاف يا حارث .

الحارث : لا عليك ناعسة .. لا عليك .. أتركك بخير . (**موسيقى فيها شىء**

من الحزن تنتهى بطرق على الباب ويفتح الباب) .

صوت : السلام عليكم (**يبين على الصوت كأنه يحمل حملا كبيرا**) .

ناعسة : وعليك السلام ، ماذا تريد ؟

الصوت : (**وهو لا يزال مجهدا بحمله**) أليس هذا بيت الحارث بن يزيد ؟

ناعسة : إنه بيته .. فماذا تريد ؟

الصوت : أما ترين أنفاسى المتلاحقة ؟ هلا تركتنى أنزل حملى ثم سألت ما أردت أن تسألى ؟

ناعسة : بل واللّه لن تترك شيئا حتى أعرف من أنت وماذا تحمل ؟

الصوت : أما أنا فخادم لن يفيد اسمى فى شىء ، وإن أردت أن تعرفى فهو "رفيق" وأنا خادم سيدى أسامة بن يعقوب .

ناعسة : فواللّه لن تترك حملك هذا ، واللّه لن تدخل هذا البيت ، أنت حمال .. امض أيها الحمال امض .

رفيق : بل انتظرى ألتقط أنفاسى وأحادثك . أنت لا تعرفين ما أحمل .. إنه الحرير والدمقس والشفائف واللفائف والمخرمات و ...

ناعسة : امض يا حامل الإثم ، امض لا أرانى اللّه وجهك ، امض .

(صوت باب يصفق ويعقبه بكاء من ناعسة يتخلله طرق على الباب مستمر مدة ، ثم ينقطع الطرق ويستمر بكاء ناعسة الذى ينتهى ببكاء من أسامة) .

أسامة : أحبها .. أحبها .

رفيق : لا عليك يا سيدى .. هون عليك .

أسامة : أحبها يا رفيق .. أحبها .

رفيق : أشهد يا سيدى وقد خدمتك السنين الطوال ، أن واحدة ممن عرفت لم تكن على مثل هذه العفة أبدا .

أسامة : ولكنى يا رفيق أحبها أكثر ممن عرفتهن جميعا .. ماذا أفعل يا رفيق أما من فكرة ؟

رفيق : لا يا سيدى .. ليس إلى المرأة الشريفة طريق غير الزواج يا سيدى .

أسامة : (**فرحا**) الزواج .. هو الزواج .. أريد الزواج بها .

رفيق : (**فى سخرية**) إن المرأة لا تتزوج من رجلين .

أسامة : أعرف ذلك أيها المتذاكى .

رفيق : تعرفه طبعا ولكنك تقول أنت تريد الزواج بها .

أسامة : نعم .. (**هامسا**) نريد أن نجعل زوجها يطلقها .

أسامة : (**مرددا فى همس**) زوجها يطلقها ؟!

أسامة : أجل .. ألا تعرف وسيلة ؟

رفيق : واللّه يا مولاى .. واللّه يا مولاى .. هناك وسيلة .

(موسيقى)

الحارث : هيه رفيق .. أما ترد لماذا أرسل إلىّ سيدى أسامة ؟

رفيق : اخفض صوتك .

الحارث : (**هامسا**) ماذا ؟

رفيق : إن أسامة لا يعرف أنك عدت .

الحارث : ماذا ؟

رفيق : اتبعنى نذهب إلى مكان أمين .

(جملة موسيقية)

الحارث : ماذا بك رفيق ؟

رفيق : إن الأمر خطير يا حارث .. لقد كشفت أمرا عجيبا .

الحارث : ماذا كشفت ؟ ألا قل يا أخى فقد أضجرتنى همسا .

رفيق : سيدتى نائلة .

الحارث : مالها ؟ أهي مريضة ... مالها ؟

رفيق : مريضة بداء عجيب ... مريضة بحبك .

الحارث : أجننت ... أتحبنى ؟

رفيق : حب يقيمها الليل الطويل شاردة الذهن ، والنهار الطويل ذاهلة الخاطر .

الحارث : أجننت ؟!

رفيق : بل الأدهى من ذلك أن أخاها قد عرف الأمر جميعه .

الحارث : عرف ماذا ... ؟

رفيق : عرف حبها لك وأوشك أن يقتلها ، ولكنى هدأت مضطربه .

الحارث : ويلى ، فهل آن لى أن أترك العمل الآن ؟

رفيق : يا لك من أبله ، لقد ظللت به أناقشه حتى قبل أن تخطب إليه أخته فيزوجك لها .

الحارث : من .. ؟ أنا .. أجننت ؟ أنا أتزوج هذا الغنى الواسع ؟! أنا ... أنا الفقير أنا ؟!

رفيق : نعم أنت .. والعجيبة أن أخاها قبل ذلك ، فقد هددته إن لم تتزوج منك أن تقتل نفسها ويكون أمرها فضيحة بين الناس .

الحارث : هل جننت يا رفيق ؟

رفيق : وقد أرسلت إليك دون أن يعرف سيدى أسامة . ولم يبق الآن إلا أن تتقدم من سيدى أسامة تطلب إليه أن يزوجك اخته . وحذار أن تخبره بما قلته لك الآن ، حذار أن تخبره .

(**موسيقى**)

الحارث : (**مترددا**) سيدى ...

أسامة : ماذا يا حارث ؟

الحارث : أمنية يا سيدى طالما داعبت خيالى وطالما رددتها عن تفكيرى ، ولكنها تستبد بى كل يوم فلا أطيق منها فرارا .

أسامة : ما هى يا حارث ؟ .. قل .. فلقد والله عرفت فيك الفتى المخلص فى عمله ، الأمين فى واجبه .

الحارث : يا سيدى ، أنا أعرف مكانك منى ومكانى منك ... وأعرف يا سيدى أنك أغنيتنى بعد فقر وأكرمتنى بعد هوان . فإن أقدم إليك أطلب منك أمرا فما هو إلا أمل يدعونى إلى التعلق به ، فضل سبق ومكرمة سلفت ويد أسبغت .

أسامة : لقد أطلت حارث وما أحسب مطلبك إلا جليلا .

الحارث : وإنه الجليل سيدى . أطلب إليك أن تزوجنى أختك سيدتى نائلة ...

أسامة : يا أخى إنما أنت خاطب ، والخاطب لا يحتاج إلى هذه المقدمة الطويلة . فإنك بخطبتك تعلن حسن رأيك فىّ وفى أختى .

الحارث : خشيت يا سيدى أن تحسب أنما أخطبها لغناها وأننى أتعلق بالغنى وحده .

أسامة : وهب أنك كذلك ؟ .. اسمع يا حارث .. إننى لا أعارض فى هذا الزواج ، ولكننى لابد لى أن أسأل أختى .

الحارث : ألا تعارض أنت يا سيدى .. ألا تعارض ؟

أسامة : إذا رضيت هى بك فلماذا أعارض أنا ؟ الحارث (**فى دهشة**) إذن فقد صدق ...

أسامة (**مقاطعا فى سرعة**) من ذلك الذى صدق ؟

الحارث : ظنى ... صدق ظنى يا مولاى .

أسامة : إذا كان الغد .. فتعال تعرف الجواب .

(**موسيقى**)

الحارث : سيدى .
أسامة : هنيئا يا حارث .
الحارث : أحقا يا سيدى .. يا صهرى .
أسامة : إلا أن لها شرطا واحدا.
الحارث : فلتقله يا سيدى .
أسامة : ألم تحدسه يا حارث .. ألم تعرف ما هو ؟
الحارث : (**مترددا**) لا لم أحدسه .
أسامة : إن أختى نائلة فتاة فى ربيع العمر ، ولا تحب أن تتزوج من رجل له زوجة فى بيته .
الحارث : (**فى تردد**) وماذا تريد أختك يا سيدى ؟ .. هه .. ماذا تريد ؟
أسامة : طلق زوجتك تقبلك نائلة زوجا .
الحارث : أطلق زوجتى ؟!
أسامة : تتزوج من نائلة .
الحارث : (**مندفعا**) فزوجتى .. (**يسكت**)
أسامة : إذن فأنت لا تحب نائلة .
الحارث : (**فى ألم وحزن**) فزوجتى ناعسة منذ اليوم طالق .
أسامة : فاكتب الطلاق ... ولا يشغلك مؤخر الصداق فهى هدية عرسك .. (**ضاحكا ضحكة**) هديتى فى زواجك من أختى نائلة . (**ضحكة كبيرة**)

(**موسيقى**)

أسامة : إننى أخطبك إلى نفسى يا ناعسة .
ناعسة : مالى إلى الزواج رغبة يا سيدى .

أسامة : أى عيب ترينه فىّ يا ناعسة ؟
ناعسة : أنا لا أراك يا سيدى .. أنت دائما مختبئ وراء أموالك . إنك شىء تجعل أموالك أهم شىء فيك ، ولو جعلت إنسانيتك أهم شىء فيك لكنت خيرا من ذلك .
أسامة : أنا لا أفهم عنك شيئا .
ناعسة : ذلك أن الذهب معدن صلب جامد بارد ، وهو يا سيدى يغلف قلبك وعقلك ، ولو أنك يا سيدى أزحته عن فهمك وشعورك وعشت حياتك ومالك فى يمينك سلاح للفقير لا سلاح عليه ، وقوة للضعيف لا قوة للشر ، لو أنك فعلت لأحسست متعة الحياة ، بل أحسست متعة الغنى الذى تتمتع به .
أسامة : إننى أحس متعة الغنى يا ناعسة .
ناعسة : هيهات ... ليست متعة الغنى فى المرأة المشتراة ، ولا فى القصور والحرير وهذا الفراغ . إن متعة المال تحسها ـ إن كنت تحس ـ فى دمعة المسكين الذى تدفع عنه الذلة ، وفى شكر المحتاج الذى رفعت عنه حاجته ، وفى إعزاز كريم ذل أو غنى افتقر أو خير أثم .
أسامة : إنى أخطبك إلى نفسك يا ناعسة ، فما هذا الحديث ؟
ناعسة : سيدى أنا لا أتزوج جمادا ، وأنت جماد .
أسامة : أنا جماد ؟
ناعسة : وهل الذهب إلا جماد ؟
هشام : (**من الخارج ويصاحب صوته طرق على الباب**) افتحى يا ناعسة .
ناعسة : (**وهى تفتح الباب**) مرحبا هشام .
هشام : من .. سيدى أسامة .. أأنت هنا ؟

أسامة : مرحبا هشام .

هشام : ناعسة جئت أخطبك لنفسى .

ناعسة : وإنى قبلت يا هشام .

هشام : فمتى الزواج ؟

ناعسة : متى تريد ؟

هشام : غدا .

ناعسة : غدا .

(موسيقى)

الحارث : أنجز حر ما وعد يا سيدى أسامة ... لقد ماطلتنى الشهور الطوال وفرضت علىّ أن أنتظر حتى توفى امرأتى عدتها ، وفرضت على ألا أعود من الضياع أبدا ، وألزمتنى مكانى القاصى هناك ثلاثة أشهر .. فأنجز حر ما وعد يا سيدى .

أسامة : أى حر وأى وعد ؟

الحارث : أن أتزوج من أختك نائلة .

أسامة : من أختى ؟ أختى أنا .. هل جننت ؟

الحارث : سيدى !

أسامة : أنت منذ اليوم مفصول عن عملك .. لا مكان لك هنا أيها المجنون.

(موسيقى)

الحارث : سلام يا هشام .

هشام : مرحبا حارث ... مرت شهور طويلة لم أرك ؟

الحارث : أو تحب أن ترانى يا هشام ؟

هشام : ولم لا ؟

الحارث : نعم .. ولم لا ؟ إننى يا هشام قد صرت إلى ضيق من المال ، وكنت

قد تركت عند زوجتى (**ويستدرك بعدها ويميل صوته إلى البكاء**) زوجتك ناعسة بعض المال .. فهلا طلبته لى منها ؟

هشام : بل اذهب أنت إليها واطلبه .

الحارث : أتقصد أن أذهب أنا حقا يا هشام ؟

هشام : ولم لا ؟ .. إنك أخى منذ الطفولة الأولى ولا تزال أخى .. اذهب حارث إليها واطلب مالك بارك اللّه لك فيه . اذهب أخى .

(موسيقى تصاحب المشهد)

الحارث : سلاما يا ناعسة .

ناعسة : (**فى بعض جفاء**) سلاما يا حارث .

الحارث : تركت عندك بعض المال .

ناعسة : (**فى سخرية ناعمة**) لا تزال تجرى وراء المال يا حارث ؟

الحارث : بل زهدته يشهد اللّه .

ناعسة : بل هأنتذا تغيب الشهور ولا تعود حين تعود إلا لتطالب بمالك .

الحارث : كان لابد لى أن أخلق للمجىء عذرا . ناعسة .. ناعسة ، رفقا .

ناعسة : فهل رفقت بى أنت وأنت تطلقنى ؟

الحارث : إن أكن أخطأت ففى هواك فسحة من العفو .

ناعسة : إنما الهوى خيال .

الحارث : بل حقيقة .

ناعسة : بل الدينار هو الحقيقة .

الحارث : إنه الهوى يا ناعسة فرفقا .. إنه الهوى (**يبكى**) .

ناعسة : ناعسة (**فى صوت باك**) أتبكى شيئا أنت من فعلته ؟ .. لن يفيدنا البكاء شيئا يا حارث ... لن يفيدنا فى شىء .

الحارث : (**باكيا**) حسبى اللّه ونعم الوكيل ...

هشام : ابك يا حارث .. وابك أيضا ولا تنقطع عن البكاء ، لعلك تغسل عن نفسك ألمها .

الحارث : هشام .

هشام : ابك فقد تجنيت ... وما أصدق دمعة الجانى .

الحارث : رحماك هشام .

هشام : فوالله ما رحمك إلا هشام .

الحارث : أحقا هشام ؟

هشام : أنت طالق يا ناعسة .. أنت طالق طلاقا بائنا .. تزوجتها من أجل أخى وأحسست حبها لك فجعلت من زواجى بها أخوة طاهرة . فأنت منذ اليوم طالق فاصفحى عن حارث .

ناعسة : رعاك الله يا هشام .. وأنا صافحة .. عفوت يا حارث .. فما طريقك منذ اليوم ؟ .. أهو القمر أم الدينار ؟

الحارث : (**فى فرح**) إلى القمر يا ناعسة .. طريقا إلى القمر .

ناعسة : إلى السماء يا حارث .. طريقا إلى السماء .

* * * * *

الفصل التاسع

« نبل وخيانة »

: **(موسيقى)**

المذيع : **إبراهيم بن المهدى أخو الرشيد .. شاعر رقيق ، ولكن شهرته بالعزف والغناء كانت أبعد مدى... لما تولى الخلافة ابن أخيه المأمون وخرج عليه ولم يعترف له بها وادعى هو الخلافة لنفسه ... وأقام بالرى يسكب على نفسه صفات الخلافة مدة سنة وتزيد . لم يشأ المأمون خلالها أن يأخذه بأسباب الشدة ، فلما رأى أنه لا ينتهى ، قصد إليه فى جيش لم يصبر عليه إبراهيم ، وترك كرسى الخلافة وخرج يبتغى من قصاص المأمون هربا ... إن ابن المهدى لفى حيرة من أمره ليس يدرى أين يولى وجهه ؟ .. ها هو ذا يقطع طرق الرى مستخفيا لا يتبعه من خاصته غير سميره الأمين هشام ، لقد أعيتهما المطاردة واشتدت بهما الظلمة .**

(موسيقى)

ابن المهدى : مر اليوم يا هشام .. لا نستطيع أن نصل إلى المأمن . إن الساعة لطويلة على الخليفة الهارب .. فما خطبك وقد مرت هذه الساعات ؟

هشام : الله فى عون مولاى .. إلى أين يا ترى يقودنا الخوف .. إنها نعم الملجأ .

هشام : أتظن ذلك يا مولاى ؟

ابن المهدى : أظن ؟! .. بل هو الوثوق بعينه .. إنها آمن علىّ من نفسى .

هشام : أمرك .

ابن المهدى : ولكن أتظن الطريق إليها أمينا ؟

هشام : والله يا مولاى لا أدرى . إن الجائزة التى وعد بها المأمون لمن يعثر عليك جائزة مغرية .

ابن المهدى : نعم .. مائة ألف درهم .. وإن لأعوانٍ كثيرةٍ من أغنياء هذه المدينة يتمنون لو حصلوا عليها . فما ظنك بالجند وكلهم فقير ؟

هشام : أخاف يا مولاى .

(تسمع حوافر الخيل من بعيد تقترب رويدا رويدا)

ابن المهدى : ما هذا ... ادخل فى هذا الطريق يا هشام . إن جماعة من الجند قاصدة إلينا .

هشام : وى : إن الطريق مقفل يا مولاى .

ابن المهدى : وما نفعل ؟ أنسلم ؟ اقتحم .

هشام : إنه حائط .

ابن المهدى : انفذ دونه .

هشام : إنه سد منيع يا مولاى .

ابن المهدى : حسبى الله ونعم الوكيل .. رحماك يا ابن الأخ .. رحما يا مأمون . الله للزوجة والأولاد ، حسبنا الله .

هشام : بعض الأمل يا مولاى ، إن الجند لن تفطن إلينا إلا بعد برهة نكون فيها قد دبرنا أمرنا .

(موسيقى)

المذيع : **فى بيتها . عاتكة تجلس إلى صاحبتها . فيما يدور الحديث . ومن ذلك المسكين الذى ألقى به بين لسانيهما يتناولانه ؟ من ذلك الذى ألقى على وجهيهما كل هذا الجد وتلك الصرامة وذلك**

التنمر ؟ لنلق بآذاننا وحذار حذار أن تصل إلينا العيون .

عاتكة : لهفى على سيدى إبراهيم . ترى أين استقر به المكان الآن ؟ إنى لأعلمه رقيق العاطفة حاد المزاج يحب أن يرى كل شىء مهيئا لراحته .. ويحب أن يرى كل إنسان مقبلا على رحابه ... لهفى عليه الساعة ، لا شىء مهيأ له ولا رحاب له يقبل عليه .

رائقة : دائما دائما لفظان لاسم واحد ... إبراهيم وابن المهدى ... أصدق ذلك أم تهويش ؟

عاتكة : بل هو الصدق .. الجائزة كبيرة يا رائقة ، وليس فى الناس أمين . ألا أخاف ؟

رائقة : مازال بالناس بعض الخلق .

عاتكة : أى خلق ؟ لقد أصبح الشرف من كلمات التاريخ .

رائقة : الفضل فى ذلك لك يا عاتكة ، إن لك على العبث بالشرف قدرة تعز على الشيطان .

عاتكة : أمزاحا والأمير شارد والخطب محدق والحال على ما ترين ؟

رائقة : مزاح أى مزاح تقصدين ؟ فوالله ما قلت غير الجد .

عاتكة : أليس مولاى من أخاف عليه ؟

رائقة : بل هو فوق ذلك ، هو من مد لك أسباب الحياة .

عاتكة : ألا أغضب إذن ؟

رائقة : تغضبين نعم ، ولكن حين تعلمين أنه سمح لغيرك أن يشى به إن كان قد وشى به .

عاتكة : أمقت ذلك يا رائقة ؟

ائقة : بل ولاء .

تكة : لى ؟

رائقة : للأمير .

عاتكة : فهى الغيرة إذن .

رائقة : منك ؟

عاتكة : و لم لا . ألست امراة ؟

رائقة : أما أنا فامرأةٌ نعم ، وأما أنت .

عاتكة : فماذا (**فى غضب**) ؟

رائقة : فالشيطان .

عاتكة : نعم هو ما حزرت ، إنه المقت والغيرة . والله ما جئت إلا متشفية لا تحمل غير الشر .

رائقة : إنه يا أخت لا يتشفى فى ميت ، لقد عدمت الخير .

عاتكة : شكرا شكرا ألف شكر .

رائقة : عفوا ... ألف عفو . وفرى عليك الحيلة فى طردى ، وفريها عليـ تنفعك حين توقعين الأمير بالطيب ؟

عاتكة : كاد الحلم أن يخرج من يدى .. اخرجى رائقة أنا لا أطيق أن أرى الكره مجسما أمامى فى منزلى ، اخرجى بغير عودة .

رائقة : عودة و لم العودة ؟ ... ولكن بربك إذا ظفرت به فما أظنه إلا آتيا إليك ، فاذكرى ثورتك بى واتقى الله فى نفسك مرة ... اذكرى أن فى العالم شيئا يسمى الشرف ... قلته الآن على غير معرفة فاعرفيه مرة .. مرة واحدة .

عاتكة : إلى الخارج رائقة وأسرعى .

رائقة : لا عليك عاتكة فأنا خارجة . سلاما ولا تنسى .

(**ضحكة تكملها موسيقى**)

عاتكة : مولاى .. لقد أمضتنى الفرقة وأباتنى الانتظار على فراش

لا يهدأ ... إنه النار الآخذة يا مولاى .

ابن المهدى : أراح الله مضجعك يا عاتكة .

عاتكة : بيتك يا مولاى لم كل هذا الغياب يا مولاى ؟ إن لم تذكر جاريتك اليوم فمتى ؟

ابن المهدى : اليوم وكل يوم .. لست بالجارية عاتكة ولكنك الأخت والملجأ .

عاتكة : أهلا بالأمين وهشام ، أهلا ما أظنكما إلا لاقيتما من يومكما هذا تعبا ؟ فهلم إلى الراحة والهدوء .

ابن المهدى : نعم هلم إلى الراحة والهدوء . ألا يأتى أحد لزيارتك ؟

عاتكة : لا تخش شيئا يا مولاى ولا أحد .. فقد أذعت أنى ذاهبة فى سفر فلن يخل بهدوئك مزعج . أهلا مولاى أهلا .

ابن المهدى : أجل عاتكة لقد كنت أنتظر منك هذا وفوق هذا ، وكنت أخشى على رأسك الجميل أن يهلك ، هذا أوان الشدة فاشتدى معى ، والله من فوقنا المعين .

عاتكة : غبت عنى فأنا فى خشية دائمة وقلق مبيد . خبرنى يا مولاى ماذا فعلت فى يومك وليلك ؟ إن الرجال لا تتخذ ملبسا إلا عند الشدائد ، وها قد لبست وصاحبك هشام ثياب النساء . لا ضير عليكما فأنتما لباس لكما . فداك نفسى يا مولاى لقد لاقيتما نصبا .

ابن المهدى : وأى نصب يا عاتكة ؟ لعلك تريدين أن تعلمى لماذا لبست وصاحبى ملابس النساء ؟

: إى والله يا مولاى .

ابن المهدى : إليك ما كان ... دهمتنا الشرطة وكادوا يلحقوا بنا وكلهم يعرفنى ، والجائزة مغرية فرأينا بابا (**صوت حوافر الخيل فى الظلام**)

هشام : مولاى إنى أرى بابا .. مازال ينفذ من خلاله النور .. نطرقه واللّه معنا (**يطرق الباب**) ..

الصوت : (**من الداخل**) من يطرق الباب ؟

(**صوت وقع حوافر الخيل أثناء هذا الحديث**)

هشام : غريبان فى ضيق ، هل للضيف مكان ؟

الصوت : (**وهو يفتح الباب**) مكان رحيب .. مرحبا بالأضياف .. أهلا .. (**يقفل الباب**)

(**وقع الحوافر يعلو ثم يخفت ممتدا**)

هشام : مكان رحيب حقا .. رحيب بكرمك يا أخا العرب .

الرجل : أنا وحدى فى البيت لا أنيس ولا سمير .

هشام : غريبان .. نحن من الكوفة نزلنا المدينة الساعة وضربنا فى طرقها نطلب خانا يضمنا ليلتنا ، فاشتبهت علينا المسالك وضللنا السبل .. وصلنا دارك وقد أخذ منا التعب مأخذه جميعا ، فقلنا نطرق الباب ولن يخلو البيت من كريم .. فلم يخل .

الرجل : أهلا بكما ليس واللّه كرما ما لا قيتماه ، ولكنه الأنانية وحب الذات .. فأنا وحيد ولا أنام من الليل إلا أقله ، فهو عبء ثقيل لا أعرف كيف أقطعه .

هشام : نعاونك على قطعه إن شاء اللّه يا أخا العرب .

الرجل : ولكن ترى أتأذن لى أن أغيب عنكما بعض الساعة . أقصد السوق وأعود فلا أعوق إلا قليلا .

ابن المهدى : السوق ! أهو بعيد ؟

الرجل : أنا وحدى فى البيت لا يساكننى فيه أحد ، فلا حرج عليكما من غرفاته جميعا والسوق قريب .

ابن المهدى : (**فى خوف وتردد**) ما ترى .. ما ترى يا أخا العرب ؟

(**صوت باب يقفل**)

(**موسيقى**)

ابن المهدى : طالت غيبة الرجل .

هشام : أتخشاه يا مولاى ؟

ابن المهدى : الجائزة تعمى البصر . هشام ما قولك ؟ لقد أصبنا من الراحة الكفاية ، وما أظن الجند إلا قد انصرفوا .

هشام : أتخرج مولاى والليل أسود والبرد قارس ، والمأوى بعيد والطريق مخوف فماذا نفعل ؟

ابن المهدى : أى شىء .. لن أبقى .

هشام : أمرك يا مولاى (**لحظة صمت**) الباب مقفل بالمفتاح يا مولاى ما أظن الرجل إلا عرفنا .

ابن المهدى : كذا لا عجب أن تطول الغيبة ، إذن لابد أنه قصد المأمون ذاته ، إن موكب الخليفة يستغرق إعداده وقتا طويلا يا هشام ، ولعله الآن فى طريقه إلينا يمشى فى بطء مشية الوقار والعظمة وما يعجله ؟ الصيد فى قفص مقفل وهو يسعى إليه ليلتذ النصر جميعا . على مهله على مهله . ولنمت نحن من الخوف قبل أن يميتنا السيف . ولكن لا ، لا أنتظر انتظار النساء ، حطم الباب يا هشام وليكن بعد ذلك ما يكون .. حطم الباب قلت لك .

• م : أمرك يا مولاى .

(**يحاول كسر الباب ثم يسمع طرق**)

المهدى : ما هذا ؟

جل : (**يفتح الباب**) السلام عليكم ، ألهذا الحد تأخرت ؟ لقد أقفلت

الباب حتى لا يزعجكما مزعج . اقبلا عذرى فى التأخير فالسوق بعيد وما شريته كثير .

ابن المهدى : أكنت تشترى حقيقة ؟

الرجل : وما تظننى كنت أفعل ؟ إننى حجام صناعتى إخراج الدماء الفاسدة من الأجسام ، صناعة ليست بالنظيفة على ما أعتقد . خفت أن تتقرفا مما أستعمله فذهبت أشترى أوانى جديدة .

ابن المهدى : نعم أنت ونعمت صناعتك . إن من يزيل ألم الإنسان ملاك بعثه اللّه إلى الأرض يخفف به من شرورها .

الرجل : على أية حال قد شريت الجديد . وكم أريد أن أطهر لكما شيئا ولكن طهرى بدائى ، وأنا حجام فدونكما الأوانى فاطبخا شيئا تأكلانه . ها هو الأكل ذا ، هذا لحم عبيط .. وهذا ..

(موسيقى)

ابن المهدى : ما شعرت لذة لأكلة مثل هذه . ما أجمل أن يتذوق الإنسان ما يصنعه .

الرجل : باركك اللّه . لقد آنستما وحشتى وأمتعتمانى ليلتى ، وواللّه لابد أن يكمل هذا السرور . أملك هنا عودا ألجأ إليه فى أحد من حالين .. إذا أخذ علىّ الضيق كل مأخذ فهو نجاتى منه ، وإذا ألم بى السرور من كل صوب فهو قمة السرور .

هشام : نعم الملجأ والقمة ما اخترت .

الرجل : أضرب لكما عليه أم تكون جرأة كبيرة منى أن أعزف على مسمع من مولاى .

ابن المهدى : ويحك يا رجل أتعرفنى ؟

الرجل : منذ الوهلة الأولى يا مولاى ، ابن المهدى أخو الرشيد وعم المأمون

وخليفتنا أدامه اللّه .

ابن المهدى : تقصد خليفتكم السابق لاشك ، ولكن ..

الرجل : ولكن ماذا يا مولاى ؟ تقصد الجائزة ؟ أعلمها مائة ألف درهم قدر كبير حقا أعلم ذلك . إن طرقك بابى يا مولاى مجرد طرقك لا يكافئه مال فى العالم .

ابن المهدى : نفس كبيرة تملكها . إن نفسك تلك هى التى لا يكافئها مال أيها الحجام . هات العود فواللّه لأسمعنك أنا لحنا تقاصرت عنه الفنون جميعا .

(يدق على العود)

الرجل : فنك مولاى هو ملاذك وملجؤك . هو تلك النسمة التى يهبها اللّه لفرد من عباده فيجدها عند الضيق فرجا وعند الفرج لسانا . فنك يا مولاى الجأ إليه فإنك فى عالم تتحطم دونه كل قوة وتتكسر على سياجه كل شوكة . فنك يا مولاى فلتعزف مولاى ولنفسك تعزف ، والجمال والهدوء والسعادة كلها فى هذه الأصابع الدقيقة تجريها ، وفى هاته الحنجرة الذهبية تطلقها إلى غير سكوت إن شاء اللّه . فنك مولاى .. فنك .

(يرتفع صوت العود)

(موسيقى)

ابن المهدى : هاقد أقبل الصبح يا هشام ، وإن فيه لعيونا كاشفة أخشى أن تفضح من أمرنا ما نستر . فهلم نبغ مأمنا .

هشام : أمرك يا مولاى .. ولكن ألا تنتظر الرجل حتى يعود نشكر كرمه وطيب ضيافته ؟

ابن المهدى : ما أظننى محتاجا لهذه الإشارة يا هشام . إنك تخاطب ابن المهدى

لئن زالت الخلافة فإن فىّ أعراقا عربية كريمة أنت أدرى الناس بها .

هشام : عفوا مولاى فوالله ما قصدت إلا ...

الرجل : (**يدخل**) سعيد صباح مولاى .

ابن المهدى : سعيد صباحك أيها الكريم ، لقد نوينا الرحلة إن شاء الله .

الرجل : على عينى ما انتويته .

ابن المهدى : كرم عريض لاقيته عندك ، ولا أملك لجميلك الآن ردا .. فهل زدت كرمك كرما .. وقبلت منى هذه الدنانير على سبيل التذكار ؟

الرجل : والله يا مولاى مادار بخلدى أن تهيننى هذه الإهانة . لقد ربحت من الدنيا فوق ما كنت آمل منها . ابن المهدى ضيف على دارى الحقيرة ، وابن المهدى يغنى وأنا أسمع ، وابن المهدى يكرمنى فيعتبر تفضله بالنزول عندى أمرا يستحق منه الشكر . إن آمالى يا مولاى لتقصر أن تصل إلى ما وصلت إليه اليوم ، وإنه إن لم ترد هذا المال إلى جيبك قتلت نفسى وأنت عن دمى مسئول .

ابن المهدى : وبعد لك أيها الرجل ؟ تأبى إلا أن تترك جميلك كاملا على كتفى ، عبء كبير أسأل الله العون .

الرجل : مولاى ، إنى لا آمن عليكما أن تنزلا فى وضح الصباح ، والجائزة مغرية وما كل بمأمون الضمير .

ابن المهدى : أشر علىّ إذن .. فما أطيق أن أبقى لديك لا أريم فيعرف مكانى ويسعى إلىّ ، أو أنا فى الحق لا أطيق أن أنتظر البلاء وأنا فى مكان النساء ، لا أطيق . أشر علىّ فأخرجنى .

هشام : النساء . أذكرتنى مولاى النساء .

ابن المهدى : ويحك أيها الرجل . هل بك مس ؟ مالنا والنساء الآن ؟

هشام : نلبس لباسهن ونخرج ، فما أحسب أحدا ..

ابن المهدى : اخسأ يا رجل لبس نساء . أنا ألبس لبس النساء ؟!

هشام : وما يضيرك مولاى ؟ ألست الرجل مشهورة رجولتك ؟ ألست ابن المهدى لا ضير عليك . من أجل السياسة أن تلبس لباس النساء . إن لباس النساء يا مولاى هو أشرف ما يتنكر به الساسة من ملابس ، فتوكل على الله مولاى . لبس النساء أيها الصديق لبس النساء .

الرجل : أحسبه صادقا فيما يذهب إليه يا مولاى ، فإنها وسيلة تكاد تنفرد .. سأحضر أنا هذه الملابس .

ابن المهدى : بئس يوم خطرت لى فيه فكرة الخلافة .. خنت القرابة وأضعت الأمانة وها أنا ذا مشتت الكرامة مسلوب مظاهر الرجولة .

هشام : أدام الله عليك الجوهر يا مولاى .

ابن المهدى : الجوهر .. الجوهر .. من يعلم الجوهر ؟ الجوهر هو ذلك الدفين فى أعماق النفس .. لا يعلم أحد عنه شيئا . الدنيا كلها مظهر . أنت امرأة إذا لبست لباسها ، والمرأة رجل إذا لبست لباسه . أنت امرأة حين تبدو لرائيك بملابس النساء ، أما ما أنت عليه حقيقة فإن قلة يعرفونه .

هشام : أحسبنى يا مولاى لا أستطيع ردا .. كما أعتقد أننا محتاجون للوقت .. فغل يدك فيه بعض الشىء . وخير لنا أن نفكر أين سنولى الوجوه ؟

ابن المهدى : أين نولى الوجوه ؟ كأنك قد نسيت إلى جاريتى عاتكة ، نعم الملجأ هى .

هشام : أدامك الله مولاى . إن ما سكبت علينا من الفضل ليلقى على

قلوبنا الهدوء الأمين .

ابن المهدى : إنك تقول هذا لما تعرفه .. أما ما تجهله فهو أكثر بكثير .. لقد عرفت هذه الجارية من أمرى ما لم تعرفه عنى جارية أخرى فى أى مكان وأى وقت .

هشام : إن قولك هذا يا سيدى وصف لما رأيناه نحن ، فإن كان ثمة أكثر فإننى أخشى أن أقول لمولاى إنه أشرف .

ابن المهدى : لقد قلتها فعلا . على أية حال أسرفت أو وفرت فات الوقت فهلم إلى عاتكة .

هشام : هات أيها الرجل ، هات هذه الملابس .

الرجل : وأين عاتكة هذه يا سيدى هشام ؟

ابن المهدى : شكرا لك ايها الرجل النبيل ، لا تكلف نفسك مشقة المجىء إلينا سوف نوافيك بأخبارنا . على أنك فى غير حاجة إلى أخبار فهى خير ما دامت مقطوعة ، ولن يصلك منها إلا ما لا تحب فعلى هذا انتظر .

الرجل : يرعاكما اللّه ، لقد شرفتنى يا مولاى وما أظن اللّه إلا راعيك بفيض كرمه ووسيع فضله . يرعاك اللّه يرعاك اللّه يا مولاى .

ابن المهدى : أمسك ، فقد زدت الفضل أفضالا بكلامك . فإلى لقاء آخر لقاء قريب .

هشام : أسرع يا مولاى أسرع . إلى عاتكة إلى عاتكة إنها نعم الملجأ .

(موسيقى)

ابن المهدى : وهأنذا عندك الآن يا عاتكة لا خوف ولا إشفاق .

عاتكة : عند نفسك يا مولاى ، بيتك بيتك . لعلك تأذن لى مولاى لو طلبت إليك أن أخرج إلى السوق وأشترى ما أريد وأتسمع

الأخبار . تأذن يا مولاى ؟

ابن المهدى : نأذن يا عاتكة ، فأنا فى بيتى وفى مأمنى . هيا هيا وتصيدى أخبارا ، هيا أسرعى .

عاتكة : إذن فدونكما يا مولاى نردًا اقطعا به الوقت حتى أعود **(صوت أحجار النرد)**

(موسيقى)

ابن المهدى : أيبعد السوق عن هنا يا هشام ؟

هشام : بل هو قريب يا مولاى .

ابن المهدى : فما هذه الغيبة إذن ؟ **(صوت النرد)**

هشام : ماذا . أخوف مولاى .

ابن المهدى : **(فى دهشة)** من عاتكة .. أتخوف يا هشام .

هشام : لا خوف ولكنه مزاح .. عاتكة .. هل يخشى من عاتكة ؟ إنها نعم الملجأ .

(جلبة شديدة تظهر من بعيد وتقترب ثم يقرع الباب بشدة)

صوت : **(من الخارج)** باسم أمير المؤمنين المأمون بن الرشيد افتحوا الباب .

هشام : **(يكرر فى سخرية مريره)** عاتكة . هل يخشى من عاتكة ؟ إنها نعم الملجأ .

(موسيقى)

(مجلس المأمون)

المذيع : **المأمون بن الرشيد فى مجلسه .. تحيط به الأبهة من كل جانب ، وقد التف حول عرشه النابغون من العلماء ، وهو يأمر للمقرب فيجلس ولغيره فيقف ، والناس على وجوههم الوجمة وفى نفوسهم الرهبة والمأمون أثبت من الطود تترقرق فى قلبه عواطف**

المحبة لعمه فلا يبديها ، وتثور فى نفسه عوامل الانتقام والثورة ، فلا تجرؤ واحدة من هذه الخوالج أن تصل إلى نأمة من وجهه .

ها هو ذا إبراهيم بن المهدى يدخل متعثرا .

ابن المهدى : السلام على أمير المؤمنين المأمون ابن أخى الرشيد .

المأمون : أو ذكرت أخاك فى قبره وابنه يؤوده العبء فيكاد ينوء به . أذكرتهما ، تدعى الخلافة وتخرج عليه . لا أنزل الله عليك السلام أبدا . لقد كان خيرا لك أن تنسى العمومة والقرابة فلا توغل بهما فى جراح هى فى ذاتها عميقة كل العمق . أيعترف الكل لابن أخيك بالخلافة وتنكرها أنت عليه وتدعيها لنفسك . و لم تكن لك فى يوم خلافة .

ابن المهدى : يا أمير المؤمنين ، إن ولى الثأر محكم فى القصاص ، والعفو أقرب للتقوى . وقد جعلك الله فوق كل عفو كما جعل ذنبى فوق كل ذنب ، فإن أخذت فبحقك وإن تعف فبفضلك .

ذَنْبى إليكَ عظيمٌ وأنْتَ أعظمُ مِنْه
فخُذْ بحقِكَ أوْلا فاصفحْ بحلمِكَ عَنْه
إنْ لمْ أكُنْ فى فِعالى من الكرامِ فكُنْه

المأمون : موقف لا أرضاه لك ، والله ما كان أغناك عنه.

ابن المهدى : أتيتُ ذنبًا عظيمًا وأنْتَ للعفوِ أهْلُ
فإنْ عَفَوْتَ فمَنٌّ وإنْ جَزَيْتَ فعَدْلُ

المأمون : نسأل فيك الجالسين .

أصوات : نقتله شنقا .

أصوات : بل نذبحه .

أصوات : نمثل به .

(فترة صمت)

المأمون : ما لأحمد بن أبى خالد لا يقول رأيا ، ألق الدلو فى الدلاء .

أحمد : يا أمير المؤمنين إن تقتله وجدنا مثلك قتل مثله ، وإن عفوت عنه لم نجد مثلك عفا عن مثله .

المأمون : إيه ؟
قَوْمِى هُمُو قَتَلُوا أُمَيْمَ أخِى فإذا رَمَيْتُ أصابَنِى سَهْمِى

ابن المهدى : الله أكبر .. الله أكبر .. عفا والله أمير المؤمنين .
: ما إنْ عصيتُكَ والغواةُ تَمُدُّ من أسبابها إلاّ بنيةِ طَائعِ
مُلِئَتْ قلوبُ الناسِ مِنْكَ مهابةً وتَظَلُّ تَكْلأُهُمْ بقلبٍ خَاشِعِ
فعفوتَ عَمّنْ لم يكُنْ عَنْ مثلِه عَفْوٌ ولَمْ يَشْفَعْ لديكَ بِشَافِعِ

المأمون : أعوذ بالله أن أحوجك إلى شافع عماه .. ولكن ما ترى فيمن رأى قتلك ، إن أبا إسحق أشار بذلك ؟

ابن المهدى : والله يا مولاى لو كنت مكانهما ما قلت بغير هذا . لقد أحسنا النصح يا مولاى وأحسنت أنت العفو وأنت له أهل ، فدفعت خشية منى بأمل فى صلاحى ، فلست والله ابن المهدى إن سمحت لأمل لك أن يخيب .

المأمون : إن اعتذارك النابض بالحياة يؤكد صدقه ياعماه لاقيت من المطاردة عنتا فهلا قصصت ما لاقيت .

(موسيقى)

المأمون : ايذنوا للحجام بالدخول .

الحجام : السلام على أمير المؤمنين .

المأمون : وعليك السلام يا أخا العرب . إنك والله لأكرم من أن تكون حجاما . أبلغوا أمير الجند أن يضمه إلى الجيش ويخلع عليه ويعطيه

بيتا يسكن فيه .

الحجام : مولاى .. إننى أقبل ما تأمر به لأنــه أمر منـك لا أملـك مـن دونـه ردا .. أما أنا .. فواللّه ما كنت أرجو بعد الشرف الذى نلته إلا أن أعيش فى ذكراه ، وسأعيش إن شـاء اللّـه فـى غمـرة فضلـك وفـى ذكرى هذه الليلة التى شرفنى فيها عمك أدامكما اللّه .

المأمون : ايذنوا للمرأة بالدخول .

عاتكة : السلام على أمير المؤمنين .

المأمون : خبرينى يا امرأة ؟ ما الذى حملـك علـى مـا فعلـت .. أتخونـين مـن ائتمنك . أيتقرب إلىّ بالخيانة ؟

عاتكة : لا واللّه يا مولاى ، إنما أنا فقيرة أريد مالا .

المأمون : ألك زوج أو ولد ؟

عاتكة : لا .

المأمون : أو لم يسكب عليك مولاك الخير كله .

عاتكة : بلى يا مولاى لقد كان خيرا معى .

المأمون : فأعطوهـا الجـائزة إذن وأدخلوهـا السـجن تعِشْ فيـه مـا بقـى مـن حياتها . لا يدفع الشر إلا بالشر ، كما لا يزدهى الخير إلا بالخير .

(موسيقى) .

* * * * *

الفصل العاشر

« كتيبة الأهوال »

: **(موسيقى عنيفة)**

صوت : كان نصرا مؤزرا يا سعد .

سعد : إنما هو من عند اللّه يؤتيه من يشاء من عباده المخلصين .

الصوت : لقد كنت فى المدينة ورأيت أمير المؤمنين وهو يستقبل أنباءك . لـو رأيت فرحته يا سعد لعرفت ما لفتح القادسية من أهمية .

سعد : فهل بلغ عمر فرار الفرس بعد هزيمتهم ، وقد تشتت كـل جمـع لهـم بمدينة ؟

الصوت : قد بلغه ذاك ... وقر به عينا .

سعد : فبماذا جئت إذن من المدينة ؟

الصوت : جئت إليك بأمر من عمر .

سعد : أعرفه .

الصوت : فما هو ؟

سعد : أن تكف عن الغزو .

الصوت : جهلته واللّه يابن أبى وقاص .

سعد : فهى البشرى إذن .

الصوت : لقد فرح عمر بالنصر ، حتى أمر بفتح المدائن .

سعد : اللّه أكبر .. إنه واللّه الفتح .

الصوت : إنه دين اللّه يشرق على الأعاجم .

سعد : اللهم إنك أنت العزيز القوى . اللّهم إنه دينك دين الحق . اللهم قد

رأيت ملائكتك فى المعركة فرأيت هزيمة المسلمين تصبح نصرا ، ورأيت روحك القدس تهب النصر لعبادك المسلمين ويعود العدو مخذولا .. رأى قلبى ملائكتك وروحك وأكاد وحقك أن أقول إن عينىّ شاركتا القلب الرؤية .

الصوت : هنيئا سعد ..

سعد : كنت فى القادسية مريضا ، أما اليوم فهلم هلم إلى النصر أو إلى ما هو خير من النصر ، إلى الجنة لبيك اللهم لبيك .

أصوات : لبيك اللّهم لبيك .

(موسيقى)

الراوية : **واندفع المسلمون يرددون وراء قائدهم : لبيك اللهم لبيك . إنهم فى طريقهم إلى واحد من الأمرين كلاهما أعذب من الأمل وأحلى من الأمنيات وأبهى من الرجاء المحقق . إنهم فى طريقهم إلى النصر أو الجنة .**

(موسيقى)

الصوت : إلى أين طريقك يا سعد ؟

سعد : إلى بهرسير .. أفتحها وأخلص منها إلى المدائن .

الصوت : ولكن بهرسير حصون منيعة وقلاع شاهقة ، فكيف تفتحها ؟

سعد : وهل أنا من أفتحها ؟ إنه اللّه يا بنى ، ومتى رأيت الحصون والقلاع تعوق طريقا لإرادة اللّه أن تنفذ ولمشيئته أن تتم ؟!

الصوت : ولكن أخشى أن يتمكن منك الأعداء وهم خلف حصونهم بمنجى منك ، وأنت على مرمى النبل منهم .

سعد : يا أخى قد تعجلت الأمور وتخوفت المستقبل ، ونحن بعد لم نطالع الحصون و لم نشهد القلاع ، فاكتم حديثك لا تخوف به الجند حتى

نرى فى أمرنا وأمر الحصون ، ثم ندبر لكل أمر أمرا من فوقنا سبحانه يهدى وإنه الهدى .

(موسيقى)

الراوية : **وبلغ الجند بهرسير وكان يزدجرد كبير الفرس قد احتمى بها راجيا ان تقف دونه القلاع والحصون وأقام سعد بعسكره أمام بهرسير وقد أمن الطريق من خلفه فقد أصبح كل ما وراءه عربيا خالصا يدين بالإسلام للّه وبالطاعة لعمر ، ورأى سعد أن يستشير أصحابه .**

سعد : أشيروا علىّ الأمر ، أنهاجم أو ننتظر .

صوت : الرأى إليك .

سعد : وأنا أداوله بينكم .

صوت : أرى أن نقيم حتى يرتاح الجنود .

آخر : وأرى أن الحصون قوية ولابد لنا أن نختبرها .

سعد : ولكن نفوس الجند إلى الحرب فلو أننا توكلنا على اللّه وهجمنا وهم فى نشوة النصر وفى زهوة الفرح أدركنا العدو .

آخر : ولكن العدو منيع .

سعد : إنه منيع بحصونه ولكنه ضعيف منهار فى داخله . إن نفوس العدو هزيمة كسيرة لا تطيق أن تقاوم إذا نحن شددنا عليهم .

آخر : إن زهوة النصر يا سعد سلاح ذو حدين .. أخشى أن ينبعث الجند إلى الحرب فلا يلقون إلى الحرص بالا .

آخر : فإذا هزموا فقدوا إيمانهم وهو سلاحهم .

سعد : أرى العقل فى قولكم .

آخر : ونحن هنا آمنون .

سعد : ولكننى أخشى أن يطول بنا المقام ، فإن بهرسير لن تكون محاصرة إذا نحن أقمنا هنا فإنهم سيمدونها من وراء نهر الدجلة بالزاد من العراق وفارس ، ولن ينتهى هذا الزاد أبدا .

الصوت : إذن ننتظر . ولا تخف على جنودنا فهم إن بقوا هنا على مرأى من القلاع والحصون ازداد شوقهم كل يوم أن يروا ما وراءها .

سعد : اجمعوا الجند إذن .

(موسيقى)

سعد : نحن مقيمون هنا وقد ترك لكم الأعاجم أرضهم فازرعوها ، وهنيئا لكم خراجها غير باغين ولا ظالمين .

أصوات : القلاع القلاع .

سعد : لقد استشرت فأشرت . نقيم هنا ماكثين يحيط بنا الأمن والرخاء حتى أرى رأيى وآمر أمرى وإنى وإياكم مع النصر والجنة على موعد لا نخلفه .

(موسيقى)

الراوية : **كان هذا يزدجرد فى بهرسير ... أسد محطم البراثن واهن القوى حبيس ذلة وهزيمة وانكسار ، يستشير فلا يجد من يشير ، ويسأل فلا يهفو إليه مجيب ، فهو بين الحيرة والخذلان .**

يزدجرد : فهم إذن مقيمون إقامة غير نازح .

صوت : وما يخيفهم يا مولاى والبلاد من خلفهم بلادهم .

يزدجرد : ولكننا نحن من أمامهم . ألا نثير فيهم نبضة من خوف أو خلجة من خشية .

صوت : أتحسب هذه السهام الفرادى التى نرسلها ، تخيف منهم أمنا أو تحرك ساكنا ؟!

يزدجرد : ومالها لا تفعل ؟

صوت : لقد نصبوا لنا المنجنيق ، فكل سهم منا تقابله رمية من المنجنيق . وجنودنا فى خوف ذاعر وجنودهم فى فرح غامر ، وجنودنا يذكرون هزيمة القادسية وجنودهم يذكرون النصر .

يزدجرد : فهى النهاية .

الصوت : أو بداية النهاية .

يزدجرد : بل لن يكون هذا والنار المقدسة ، لأرسلن إليهم الجند الكثيف تطالعهم بالهول والعذاب ، أم حسبوا أننا نضعف عنهم أو نهون إلى الحرب .

(موسيقى عنيفة)

الراوية : **وأمر يزدجرد بالجنود أن تكتب وبالجيش أن يستعد . وبذل جهدًا باليأس وما هو بالقليل ، وسعد وصحبه يعدون لهم فهم مقيمون يستقبلون السهام باسمين ، فإن عنّ لهم أن يردوها قذائف لاهبة حتى كان اليوم .**

صوت : يا سعد ، أرى عسكر الفرس يخرجون عند الظهيرة من قلاعهم ، فيرمون السهام ثم يدلفون إلى عسكرهم آمنين .

سعد : وما تريد منهم ؟

الصوت : نقتلهم .

سعد : سبحانه يجعل من يشاء قائدا ويجعل من يشاء جنديا . وهيهات أن يصعد المرء إلا بعقله .

الصوت : أراك تسخر منى ؟

سعد : ومالى لا أفعل ؟ وإلا فبربك قل لى أى فائدة تجنيها من قتل خمسة أو عشرة من الجنود ما يلبث غيرهم أن يخرج إلينا ؟!

الصوت : وماذا تريد أن تفعل ؟

سعد : لو أنك استدرجت هؤلاء الرماة فجعلتهم .. لا .. أنت لا تستطيع .. عليّ بأبى محجن الثقفى .

الصوت : يا أبا محجن .

أبو محجن : لبيك .

سعد : تعال يا أبا محجن .. فلقد والله صرت قريبا إلى نفسى منذ رأيتك على البلقاء ، ومنذ رأيتك تتوب إلى الله فلا تشرب الخمر .

أبو محجن : يا بن أبى وقاص لقد اقتلعت من نفسى حب الخمر ، لما رأيتها تقيدنى فلا أقاتل وإخوانى فوق خيولهم يجاهدون فى سبيل الله . فأقسمت لا أذوقها ، ورضى الله عن زوجك فقد فكت عنى قيودى التى وضعتها وهيأت لى أن أخوض المعركة .

سعد : إذن فاسمع ، إذا خرج بعض الأعاجم فاستدرجهم حتى يحسبوا أنهم سيفوزون بك أسيرا . اجعل صحبك يختفوا فى مكان تعينه لهم واستدرج الأعاجم إليهم ثم أحط به أنت ومن معك وهاتهم لى أسرى ولا تقتلهم ، إنى أريدهم أسرى .

الراوية : **وعند الظهيرة خرج بعض الأعاجم يلقون السهام فبدا لهم أبو محجن منفردا وقد وضع على نفسه أنفس الثياب فطمعوا فيه . وحين رآهم تصنع الخوف وصار يلتفت يمنة ويسرة كمن يريد أن يرى مخرجا ثم خرج وأظهر لهم أنه يعرج فى عَدْوه فازداد طمعهم فيه فلحقوا به حتى إذا بلغوا المكان الذى اختفى فيه أصحاب الثقفى صاح أبو محجن .**

أبو محجن : اللّه أكبر .

الراوية : **فإذا الأعاجم .**

صوت : أسرى جئناك يا أمير الجيش ، فارفق بنا .

سعد : إنى رفيق بكم ، ولكن أخبرونى ماذا يفعل ملككم ؟

الصوت : حائر فى أمره مذهول لا يدرى كيف يساوركم .

سعد : (**فى حدة**) اصدق أيها الرجل .. اصدق أو قتلتك .

الصوت : (**فى خوف**) إنه ياسيدى قابع فى داره .

سعد : بل أنت كاذب .

الصوت : بل صادق يا سيدى .

سعد : اصدقنى وإلا قتلتك .

الصوت : إنه لا يفعل شيئا .

سعد : وهل يمكن أن أعقل هذا ... ماذا ينتظر ؟ .. لابد أنه يجهز الآن جيشا وقد أمر بكم أن تخرجوا كل يوم ، حتى نلهى بكم فلا نفكر فى التهيؤ له إن هو نفر إلينا .

الصوت : (**فى دهشة**) كيف يدخل الإنسان دينكم ؟

سعد : قل أشهد ألا إله إلاّ اللّه ، وأن محمدا رسول اللّه .

الصوت : فأنا أشهد ألاّ إله إلاّ اللّه وأن محمدا رسول اللّه .. فما يدرك ما أدركت إلا الملهمون .. أنت صادق أيها الأمير ، إنه يجهز لكم جيشا .

سعد : بارك اللّه فيك أيها الرجل ، إذن فاسمع سأرى بلاءك فى الحرب فإن رأيت حسن إسلامك جعلتك عينا لى على الفرس تأتينى بأخبارهم .

صوات : أشهد أنى أسلمت غير مرغم ولا مضطر .. وأشهد أنى صادق .
(**موسيقى عنيفة**)

الراوية : **وخرج جيش يزدجرد وقد خيل لقواده أنهم سيجدون المسلمين**

لاهين عنهم فى شغل بالنعيم الذى هيأه اللّه لهـم . ولكـن راعهـم أن جند العرب واقفـون لهـم بكـل مرصـاد يدافعـون عـن إيمـانهم بـالروح رخيصـة فـى سـبيل اللّـه (قعقعـة سـيوف) ومـا هـو إلا ارتداد البصر حتى ارتد جنود الأعاجم يحملـون الهزيمـة المنكـرة ، وآب جنود الإسلام يحيط بهم جلال النصر . وكانت أنباء القتال تصل إلى يزدجرد لحظـة بلحظة وقتيـلا بقتيـل حتـى إذا تمـت لـه الهزيمة عاد إلى مستشاريه .

يزدجرد : ماذا أفعل ؟

صوت : أصبحنا لا ندرى .

يزدجرد : وهل كنت تدرى ؟! .. ما هؤلاء العرب ؟! .. مـن سيوفهم ؟! .. إنهم هـزال يركبـون العجـاف .. ضعـاف فـى نعـالهم .. عفـاة فـى مظهرهم ، ثم يوقعون بنا الهزائم التوالى فـلا نفيـق مـن هزيمـة حتـى نلقى إلى أخرى .

الصوت : لقد وصفت يا مولاى فصدقت .. ولكن لم تصف إلا ما ترى العين منهم . وما أراك تعمقت إلى مدى أعمالهم من عظمة الروح ... إن أجسامهم الهزيلة تحمل إيمان الدنيا أجمع ... إنهم يؤمنون يا مـولاى أن لا إله إلا اللّه ونؤمن نحن ألا إله إلا النار ، ويؤمنون يا مولاى أن محمدا رسول اللّه ونؤمن نحن أنـه لا ملـك إلا أنـت ... إنـه الإيمـان يا مولاى ما نحاربه .

يزدجرد : أراك صادقا ... بقى سهم أخير لا أملك غيره ... إنـى مرسـل لهـم رسولا .

(موسيقى)

صوت : رسول من يزدجرد ملك الفرس يطلب لقاءك يا سعد .

سعد : دعه يدخل ... لعله جاء يعرض خيرا .

لرسول : السلام عليكم قائد العرب .

سعد : السلام على رسول الأعاجم .

الرسول : يعرض مولاى الصلح .

سعد : وكيف يتم ؟

الرسول : أن يترك لك ما فتحته من أرض فارس ، فهى خالصة لكم ، وتـترك له ما لم تفتحه .

سعد : إن البـلاد التـى فتحناهـا لم تعـد لـه حتـى يملـك أن يتركهـا أو لا يتركها .. أما البلاد التى لم نغزهـا فنحـن لا نريـد بهـا شـرا . وما ضرها - يا أخا الفرس - لو أنها قالت أشهد ألا إله إلا اللّـه وأن محمدا رسول اللّه فنتركها وشأنها .

الرسول : أرى فى قولك رفضا لما يعرض مولاى .

سعد : إنى إنما جئت لأعرض عليكم الإسلام ، فإن قبلتموه فأنتم مثلنا لكم مالنا وعليكم ما علينا . فإن أبيتم فـادفعوا الجزيـة حتـى يشـرح اللّـه قلوبكم للإسلام .

الرسول : فإن أبينا ؟

سعد : ويلٌ لكم من الثالثـة يـا أخـا الفـرس . إنهـا مـا علمتـم مـن الحـرب المندلعة تأكلكم كهشيم سرت به النار .. لا تختـاروا الثالثـة يـا أخـا الفرس فإنها الدمار والوبال .

الرسول : سأبلغ رفضك إلى مولاى .

سعد : أبلغه .. وإنى هنا .. لن أريم .

صوت : (**الفارس الذى أسلم**) لم ينتظر عودة رسوله يا أمير الجيش .

سعد : ماذا ؟

صوت : ألم يرسل لك رسولا .؟

سعد : بلى ... لقد تركنى الساعة .

الصوت : ولكن يزدجرد لم ينتظر أن يعود الرسول ، بل جمع من ماله ما خف حملا وغلا ثمنا ونهج طريقه إلى حلوان هاربا .

سعد : وجنوده ؟

الصوت : حيارى ذاهلين .. حطم هرب الملك نفوسهم فهم لا يدرون ما هم فاعلون . أيحاربون ؟ .. وفى سبيل من حربهم ؟ ... أم يخضعون ؟ .. فما شأن أولادهم وذويهم ؟ ..

سعد : (**فى فرح**) اللّه أكبر .. اللّه أكبر .. لقد فتحت لكم بهرسير .. لقد فتح لكم طريق المدائن .. إلى الحصون أيها المسلمون .. إلى الحصون .. اللّه أكبر .

أصوات : (**فى قوة**) اللّه أكبر .

الراوية : **اللّه أكبر ما طلع الفجر وما غاب النهار .. لقد فتحت لكم بهرسير ومنها الطريق إلى المدائن عاصمة الفرس وفلك الحضارة . وقد كانت بهرسير واقعة على ضفة الدجلة يفصلها النهر الصاخب عن المدائن ، وكان هناك جسر يصل بين المدينتين ولم يعبأ جنود الإسلام بالليل أخذوا طريقهم إلى الفرات (صوت هدير أمواج يظل ملازما للمشهد) ولكن .**

صوت : لقد حطم الفرس الجسر ..

آخر : وأخذوا السفن إلى الضفة الأخرى .

آخر : وها هم جنودهم أولاء يقفون على الضفة الأخرى ، وبيدهم سلاحهم يلمع فى سواد الليل .

آخر : ولكن انظر .

آخر : ماذا ؟

آخر : إن القمر يبدو .

سعد : ويل لكم من الثالثة يا أخا الفرس ... إنها ما علمتم .

آخر : وما فى ذلك ؟

آخر : القمر يطلع ، فانظر أمامك .. أترى ؟

آخر : (**فى دهشة**) اللّه أكبر .

آخر : قصر الجلال .. هذه الأسطورة التى حققت هذا الحلم الذى اصبح واقعا .. اللّه أكبر اللّه أكبر .. إنه أبيض كسرى .. أعظم قصر عرفته الحضارة . شاهق إلى أبراج السماء .. عريض يسد الأرض ، إليه أيها المسلمون إليه .

آخر : إليه .. إليه (**فى تخاذل**) ولكن كيف السبيل إليه والنهر عميق متباعد الشطآن هادر الأمواج صخابه لا يهدأ له مجرى .. يجرف فلا يبقى يندفع فهو لا يراعى ولا يعف .

سعد : أجل ، فإنه الساعة فى ذروة تدفقه ، فهو ينبع من أذربيجان ونحن فى فصل ذوبان الثلوج فالماء موار بها . والدفاع عنيف الانطلاق .

صوت : انتهى بنا الفتح إلى هنا .

سعد : لا كان ذلك اليوم ... واللّه لو كان ألف نهر وألف بحر ليبلغن الإسلام إلى الفرس وعلى أيديكم أيها الجنود .

(**موسيقى**)

الراوية : **وفرح جنود يزدجرد أن وقف المسلمون حيارى أمام نهرهم متدافع اللجج جارف الدفاع .. وخيل إليهم ـ خاب فألهم ـ أنه قد آن لهم أن يرتاحوا بعض يوم فيقول قائلهم :**

صوت : لقد آن لهؤلاء العرب أن يجدوا شيئا يمنعهم .

آخر : (**فى سخرية**) فلنر إذن ماذا تفعل خيولهم العجفاء أو سيوفهم تلك الوامضة فى نهرنا الثائر .

آخر : رعاك اللّه يا دجلة .. كنت لنا خصبا وريا ، وأنت لنا اليوم حصن وأمن .

آخر : لقد وقفوا صاغرين .

آخر : وسيظلون واقفين .

(قهقهة عالية تنتهى بصوت سعد)

سعد : أيها الجند إن عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر ، فلا تخلصوا إليه منه وقد أبديت من الرأى أن تبادروا جهاد العدو بنياتكم قبل أن تحصركم الدنيا . ألا إنى قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم .

الراوية : **ماذا ؟! .. ماذا يقول سعد ؟ أيقطع البحر إلى الفرس ؟ .. بغير جسر وبغير سفن !! .. والبحر موار العباب . الدجلة فى القمة من تدفعه ... لعلنا أخطأنا ... لعله لا يعنى ما يقول ... لك اللّه يا سعد ... وكيف يمكن أن تعبر الدجلة ؟**

سعد : على الخيل ..

الراوية : (**فى دهشة**) على الخيل ؟!

سعد : على الخيل ... أريد منكم كتيبة تخوض هذا النهر على الخيل .. من يفعلها ؟

صوت : أنا .

سعد : عاصم بن عمر ... انتدب معك ستمائة ممن تعرف بأسهم .

صوت : أنا .

آخر : أنا .

آخر : أنا .

آخر : وانتدب عاصم الستمائة ثم اختار منهم ستين فارسا تقدمهم إلى حافة النهر وهو يقول :

الراوية : **من هذه المياه تخاف ؟ .. بسم اللّه الرحمن الرحيم ﴿ وما كَانَ لِنفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إلاّ بِإذْنِ اللّهِ كتابًا مؤجلاً ﴾ اللّه أكبر .**

وعلى الضفة الأخرى وقف الفرس لا يصدقون عيونهم ، حتى إذا رأوا أمواج النهر قد صارت خيلا .. ورأوا الأمر حقيقة واقعة لا وهمًا ولا خيالاً تصايحوا .

احدهم : إنهم من الجن .

آخر : ليسوا من البشر .

آخر : إنهم مجانين .

آخر : نلقاهم فى النهر .

آخر : القهم أنت .

الراوية : **وفرَّ أكثر جنود الفرس طريقهم إلى أبيض كسرى ليستقبلوا فيه الفاتحين ، فما أصبحوا يأملون فى شىء أن يقف دون العرب ، ولكن بعضا منهم ينزل إلى النهر ليقاتلوا عاصما وصحابه ، ولكن عاصما يقول لمن معه :**

عاصم : الرماح .. الرماح .. وتوخوا عيون خيولهم .

الراوية : **فيعود الفرس أدراجهم يحيط بهم الهول والفزع . ويعبر عاصم النهر فى كتيبة الأهوال التى انتدبها ويتبعه من بعد الستمائة ، ثم تنزل جيوش المسلمين جميعها إلى النهر الثائر والذى كان يظنه أصحابه ثائرا لهم فإذا هو ثائر عليهم . فإنما هو يجرى بأمر اللّه وما كان له أن يقف دون جنود اللّه فهو لهم مجراه .. وينتقل الجيش العربى جميعه إلى الضفة الأخرى لا يفقد الجيش منهم احدا**

بل ولا يفقد أحد منهم شيئا .

صوت : بل فقدت أنا .. نعم فقدت وعاء من الخشب .

آخر : ها هو ، لقد وجدته سابحا بجانبى فى النهر .

الراوية : **ألم أقل إن أحدا لم يفقد شيئا . ودخل المسلمون المدائن ثم دخلوا إلى أبيض كسرى .. لا .. لا أحد يستطيع أن يصف ما رأوه .. ولم يجد سعد شيئا يفعله إلا أن يصلى للّه شكرا : صلاة الفتح ثمانى ركعات بتسليمة واحدة . ولم يجد سعد شيئا يقوله إلا قوله عز وجل : ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وعُيُون * وزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كريمٍ * ونَعْمةٍ كانُوا فيها فاكِهِينَ * كذلك وأوْرَثْنَاها قَوْمًا آخرينَ * فما بَكَتْ عليهم السماءُ والأرضُ وما كانوا مُنْظَرِينَ ﴾**

« صدق اللّه العظيم »

* * * * *

الفصل الحادى عشر

« الفتح الأول »

الراوية : **من الأمجاد ، من الأشعة الأولى لنور الإسلام ، من هذه الشواهق تعلو فلا يلحق بها نظر ، وتسمو فلا يهفو عليها فكر، وإنما هى تهدى فنهدى ، وتبين فنسير ، وتضىء فنرشد ، من القمم الباسقات للآباء والأجداد .. وقف عندهم التاريخ العربى خاشعا فى إجلال ، وقف دونهم التاريخ الغربى صاغرا فى ذلة . من العرب الأولين ، خلص إلينا تاريخهم نقيا نقاء إيمانهم باللّه ، رفيعا رفعة اعتناقهم للمبدأ ، حاول المؤرخون أن ينالوا من تاريخهم ولكن الأدلة تكاثرت عليهم ، وانثالت إليهم الحجج إرسالا ، فلم يملكوا إلا الذهول والحيرة ، ولم يملكوا إلا الاعتراف أنه الحق ... وأنه الحق ...**

(موسيقى)

صوت : متى تقرأ خطاب النبى الذى معك يا عبد اللّه بن جحش ؟

عبد اللّه : وما يهمك فى قراءته ؟

الصوت : أعلم إلى أى مكان نحن قاصدون .

عبد اللّه : لقد أمرنى عليه الصلاة والسلام ألا أفتح الخطاب إلا بعد مسيرة يومين من المدينة .

الصوت : فموعدنا غدٌ .

عبد اللّه : موعدنا غدٌ .

(موسيقى)

الصوت : هلا قرأت الكتاب يا عبد اللّه .

عبد اللّه : نعم ، لقد مر اليومان .. نقرأ الكتاب « بسم اللّه الرحمن الرحيم . إذا نظرت فى كتابى هذا ، فامض حتى تنزل نخلة فترصد بها قريشا ، وتعلم لنا من أخبارهم » .

الصوت : أيقصد عليه السلام ذلك المكان الواقع بين مكة والطائف ؟

عبد اللّه : إياه يقصد ، فهل أنتم سائرون معى ؟

الصوت : على بركة اللّه .

عبد اللّه : إن النبى أمرنى ألا أكره أحدا منكم على متابعة السير ، فهل بينكم من يريد الرجوع إلى المدينة ؟

أصوات : امض بنا على بركة اللّه .

عبد اللّه : إن سعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان قد خرجا وراء بعير لهما تخلف عن السرية .. أنتظرهما حتى يعودا أم نمضى فى سبيلنا ؟

الصوت : ما نظن إلا أن النبى يتعجل أخبارنا ، فلنمض نحن على بركة اللّه فقد طالت بهما الغيبة .

عبد اللّه : على بركة اللّه .

أصوات : على بركة اللّه .

(موسيقى)

الراوية : **وأخذت سرية عبد اللّه بن جحش طريقها إلى نخلة ، وحطت رحالها ترقب الطريق ، ولم يطل بها الترقب فقد مرت بهم قافلة تحمل تجارا لقريش فقال قائلهم :**

الصوت : أنترك الكفار يمرون بنا لا نمسهم بأذى ، وهم من أحاطونا بالويل والعذاب ، فتركنا ديارنا نحمل ديننا وإيماننا ، ولا نقى جسومنا زمهرير البرد اللافح والهجير اللاهب ، فنحن فى دار غربة وهم

فى ديارهم مقيمون يرعاهم الخفض من العيش ، ويقيهم الظل من الهجير ، واللّه لا أسكت أبدا .

آخر : وماذا تريد أن تفعل ؟

الصوت : أقتلهم ، فإما أن أقتلهم أو يقتلونى ، أما أن يمروا على مرمى السهم منى وأنا هاجع خامد ، فلا واللّه ، ولا محمد .

الآخر : هون عليك الأقسام يا أخى ، فإن محمدا لم يأمر بقتالهم ، ونحن فى الشهر الحرام .

الأول : إن محمدا لم يكن يعرف أن تجارة لهم ستمر بنا ، ولا يعرف أحد ماذا كان قائلا لو عرف بهذه التجارة .

الآخر : إنه لا يمكن أن نقاتل فى الشهر الحرام .

الأول : أيهما أشد إيلاما للعدل ولعرف العرب : أن نخرج من ديارنا وقد اشعلت الفتنة بيننا ، أم أن نقاتل فى الأشهر الحرم ؟ إنى محارب .

الآخر : ويحك ! لقد تجاوزت حدك ، ونسيت أن عبد اللّه بن جحش على رأس السرية وإليه وحده يرجع الأمر بالقتال .

الأول : إنه لابد لك أن تحزم أمرك ، فواللّه لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخلن الحرم فيمتنعوا عليكم .

الثانى : وإن قتلتموهم سفكتم الدماء فى الشهر الحرام .

عبد اللّه : واللّه إن ما صنعوه بنا لأكثر حرمة عند اللّه من الشهر الحرام . دونكم وإياهم .. البدار البدار .

أصوات : اللّه أكبر ، اللّه أكبر ..

الراوية : **وانبعثت السرية تهاجم تجارة عَمْرِو بن الحضرمى ، ورمى أحدهم عمرا بسهم فأصابه وقتله ، وأسرت السرية رجلين من رجاله ، واقتسموا الفىء وأخرجوا خمسه للنبى ، وأخذوا**

سبيلهم إلى المدينة وهناك .

(موسيقى)

عبد الله : لقد غضب النبى من قتالنا .

الأول : أما لإرضائه من سبيل ؟

عبد الله : لقد أبى أن يأخذ الفىء ، وأراد أن يرد الأسيرين .

الأول : ولكن قريشا أسرت منا سعد بن أبى وقاص وعتبة بن عزوان .

عبد الله : ولكن هذا لم يشفع لنا ، حتى لقد عنف علىّ الأصحاب والإخوان وما أدرى ما أنا فاعل .

الأول : اصبر يا أخى ، فواللّه ما أردنا إلا وجه اللّه .

الآخر : لقد جلوت لكم الرأى فأبيتم أن تأخذوا به ، ولترون غدا قريشا تهب إليكم برجالها ونسائها فلا يدفعها إلاّ اللّه .

عبد الله : واللّه إن غضب محمد لأشد رهبةً مِنْ قريش ومن معها .

الآخر : لقد أثرتها شعواء يا عبد اللّه .

صوت : (**مناديا من بعيد**) يا عبد اللّه بن جحش .. يا عبد اللّه بن جحش !! .

عبد الله : لبيك .

الصوت : بشراك .. بشراك .. لقد أنزل اللّه آيات ترفع عنك غضب النبى والصحاب .. آيات من عند اللّه يا عبد اللّه .. بشراك عبد اللّه بشراك .

عبد الله : الحمد للّه .. هو وحده يعلم ، فله كان جهادى وما ابتغيت إلا وجهه .. قل الآيات يا أخى .. قلها بربك .

الصوت : بسم اللّه الرحمن الرحيم : ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل اللّه وكفر به والمسجد الحرام

وإخراج أهله منه أكبر عند اللّه والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴾ .

عبد الله : الحمد للّه ، الحمد للّه .

الصوت : ولقد فرح رسول اللّه ، وقبل أن يأخذ الفىء .

عبد الله : وهل جاء أحد من قريش يطلب الأسيرين ؟

الصوت : نعم ولكن النبى قال : « حتى يقدم القوم صاحبينا » يعنى سعدا وعقبة ، وقد ذهب رسول قريش ، ليرد الأسيرين .

(موسيقى)

الراوية : **وعاد الأسيران ، وأذن النبى للقرشيين أن يعودا إلى مكة ، ولكن أحدهما وهو الحكم بن كسبان قال :**

الحكم : أشهد أن لا إله إلا اللّه ، وأنك يا محمد رسول اللّه ، إنى هنا مقيم .. الإسلام مرتعى وإيمانى وولدى ووطنى .. لقد أسلمت للّه ، ولن أعود إلى الشرك أبدا .

الراوية : **وأقام . وهكذا كانت سرية عبد اللّه بن جحش هى بداية الجهاد فى سبيل اللّه ، وكان السهم الذى أطلقه المسلمون فأصابوا به عمرو بن الحضرمى هو أول سهم أطلق فى سبيل اللّه ، وحين أنزل اللّه آياته عرف المسلمون أن اللّه قد أذن لهم أن يقاتلوا فى سبيله . أما قريش فقد اضطرب منها الأمن وتوفر فيها الغضب فيقول قائلهم :**

صوت : ها قد بدأ محمد ينال ثأره .

آخر : إنها واللّه لمخجلة الدهور ، عار الأبد .. أيتعرض محمد وأصحابه لقوافلنا ؟!

آخر : بل إنه يأبى أن يسلم لنا أسراه أو نسلم له أسرانا ، لقد أصبحت

شرذمة محمد تناوشنا ونحن صاغرون .

آخر : نسيتم أننا عنفنا على محمد وهو بين ربوعنا ، حتى أرغمناه أن يترك الديار هو وصحبه ويخرج عن مكة مهد صباه ، ومراح شبابه ، ومأوى الأهل لأصحابه ، وكهف الأمن لذويهم .

صوت : لقد سفه آلهتنا ، وسب عقولنا ، بل إنه لقد امتد بسبابه إلى آبائنا وأجدادنا ورماهم بالغفلة والبله .

آخر : نسيت يا أخى أن آباءه هم آباؤك ، وأجداده هم أجدادك ، ووالله ما أرى إلا أنه يقول رأيا فما استمعنا منه لرأى ، وإنما حزمنا أمرنا على شدة ، وجمعنا قواتنا على جهل .

الصوت : أراك اليوم تكاد تسلم يا أخى ، وما بعد العهد بهجوم محمد على قافلتنا .

الأول : لا تخش ، فإن أبا سفيان لن يسكت إذا عرف أن محمدا يتربص به .

الصوت : إن أموال قريش جميعها فى هذه القافلة ، لعلنا لم نسهم فى قافلة مثلما أسهمنا فى هذه .

الأول : لا تخف ، فإن أبا سفيان سوف يعلم .

(موسيقى)

صوت : البدار أبا سفيان البدار .

أبو سفيان : ماذا ؟ مم البدار وإلى أين ؟

الصوت : البدار من محمد وأصحابه ، إلى مكة .

أبو سفيان : وماذا يريد محمد ؟

الصوت : لقد عرف أن قافلة فى الطريق ، فهيأ لك من رجاله جيشا جعل له قافلتك غنيمة .

أبو سفيان : أنصبح نحن غنيمة لمحمد ؟!

الصوت : لا تستهن أبا سفيان ، إنها نفوس أبية مسها منكم الأذى الشديد ، فاحذر النفس الأبية إن رامت انتقاما .

أبو سفيان : فالبدار أنت البدار .

الصوت : إلى أين ؟

أبو سفيان : إلى مكة .. إلى مكة .. أندب رجالها .. أبلغ قريشا .

(موسيقى)

الصوت : اللطيمة ، اللطيمة !

صوت : (**لمن كانوا يتحدثون**) هذا ضمضم بن عمر الغفارى ، وقد شق قميصه من قُبُل .

ضمضم : يا آل قريش ... الغوث الغوث .

أصوات : ماذا بك يا ضمضم ؟

ضمضم : أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى أصحابه ، فأدركوها أدركوها ... الغوث ، الغوث .

أبو جهل : فهلم يا معشر قريش ... والله لنؤدبن محمدا وأصحابه أدبا يتسامع به العرب جميعا .

صوت : على رسلك أبا جهل ، فإنها الأمور الكبرى !!

أبو جهل : وأنا لها .

الصوت : لقد والله ظلمنا محمدا وأصحابه ، فانقض قرارهم ، فهم لاجئون إلى الأحباش حينا ، أو إلى أهل المدينة حينا آخر .

أبو جهل : أنترك تجارتنا إذن يعدو عليها محمد ، ويسمع العرب أن قريشا هان العزيز من أمرها ، ومال الرفيع من ركنها ؟ تخاذلت يا أخا العرب ، وما نحن بمتخاذلين ؟!

الصوت : إنها أحدوثة يرمى بها فرد من الناس لا نعرف مقدار صدقه .

ضمضم : إنه الصدق ما أقول .

الصوت : فهل رأيت رجال محمد رأى العين ، أم هى الأنباء يرمى بها نفر منكم إلى آخر ؟

ضمضم : (**مترددا**) إنها أنباء ولكنها صادقة .

أبو جهل : لبيك إذن لبيك .. إنا لسائرون .

الصوت : نسيت شيئا يا أبا جهل .

أبو جهل : إنى ماش ومن شاء فليتبعنى .

الصوت : إن بنى كنانة يترقبون بنا الفرصة ، فإن نحن نفرنا إلى محمد خلا الطريق لهم ، فأصابوا ثأرهم .

أبو جهل : (**فى شىء من التخاذل**) لعلك على حق يا أخى .. لعلك فى هذا محق .

صوت : بل سبيلك فامض يا أبا جهل .

أبو جهل : من ؟ ... مالك بن جعشم المدلجى .

مالك : إنه أنا ... سبيلك فامض ، فما كنا لننال الثأر من قوم يفرون عن ديارهم ، ما كنا لننال الثأر والربوع منكم خالية .

أبو جهل : إنك من أشراف كنانة ، وإنا لنقبل منك الوعد ، واثقين أنه الحق .

مالك : وإنه الحق .. فقد سفه محمد آلهتنا ، وإنا لنخشى أن يصيبنا منه شر بعد أن يصيبكم ، فلا تخشوا ثأر كنانة وامضوا أنتم إلى ثأر أنفسكم .

أبو جهل : فإلىّ معشر قريش .. إلىّ .. إلىّ .

الراوية : **ونفرت قريش بحقدها وذهوها لم يبق منها رجل أو فتى ، بل**

بقى منها واحد .. هو أمية بن خلف ، لم يقم إلى الحرب فقد كان ثقل جسمه يمنعه عن القيام فقعد ، فأثاره نفر من قريش فى مجلسه وأخذوا يقولون له :

صوت : هاك أمية ، هاك مجمرة وبخور ، تصلح للنساء فهى لك ، وهل أنت إلا من النساء أمية .

آخر : بل هاك مكحلة فاكتحل ، فإنما أنت امرأة .

الراوية : **ولم يجد أمية بدا من القيام فقام .. وذهبت قريش للقاء محمد وقد خيل لأفرادها أن النصر عالق بحوافر خيلهم ، وسقيم خيلائهم ، يغشى الحقد على عيونهم فهو العمى ، وعلى أفئدتهم فهو الظلام ، وعلى نفوسهم فهى السخيمة . وكان محمد - عليه الصلاة والسلام - قد خرج فى أصحابه من المدينة فى اليوم الثامن من شهر رمضان . عدته إيمان يعمر قلوب أصحابه ، وغضب يملأ نفوسهم من أولئك العتاة الذين أجلوهم عن ديارهم .. وكان عدد رجاله ثلاثمائة وخمسة رجال .. وفى الطريق جاءت أنباء قريش إلى النبى .**

صوت : يا رسول اللّه ، لقد خرجت قريش بقضها وقضيضها لتدافع عن قافلة أبى سفيان .

الراوية : **إذن فهى قريش جميعها .. فكيف يلقاها النبى بهذه القلة من الناس ويفكر النبى - عليه الصلاة والسلام - فى العودة ويشير أصحابه فيقولون :**

آخر : واللّه يا رسول اللّه لئن عدت لتطمعن فينا قريشا ، ولنصبحن أحدوثة بين العرب .

آخر : يا نبى اللّه ، إنها الحرب إنا لها لصامدون .. هلم .

آخر : يا رسول اللّه ، امض بنا أراك اللّه الهدى فنحن معك ، واللّه لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى ، اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون .

الراوية : **كان هؤلاء الذين أبانوا عن رأيهم من المهاجرين ، وكان النبى يريد رأى الأنصار .. فالمهاجرون يدفعهم إلى القتال إيمانهم وما أصابتهم به قريش من أذى .. أما الأنصار فإيمانهم وحده .. فالنبى يسأل القوم مرة أخرى قائلا أشيروا على أيها الناس .. فأحس سعد بن معاذ عميد الأنصار أن النبى يقصد رأيهم .. فهو يقول :**

سعد : لكأنك تريدنا يا رسول اللّه . لقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض لما أردت فنحن معك ، فوالذى بعثك لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، وما تخلف منا رجل واحد .. وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا .. إنا لصُبّرٌ فى الحرب .. صُدق فى اللقاء .. لعل اللّه يريك منا ما تقر به عيناك فسر بنا على بركة اللّه .

الراوية : **وأشرق وجه النبى ، وهو يرى الإخلاص حوله سياجا ، والإيمان يحيط به حائطا منيعا ، فقال عليه الصلاة السلام : « سيروا وأبشروا فإن اللّه وعدنى إحدى الطائفتين » وسار الإسلام .**

(موسيقى)

صوت : لقد سمعت أن قافلة قريش مضت فى طريقها .

آخر : فتلك إذن إحدى الطائفتين ، وبقيت الطائفة الأخرى ، طائفة البغى والظلم والجور .

الأول : ولكنها أيضا طائفة جرداء لا مال لديها ولا مطمع فيها .

الثانى : أو نحارب من أجل المال يا أخى ؟ .. إنه الإسلام ما نحارب له ، وإنه الدين ما ندافع عنه ، وإنه النبى ما نبذل حوله الأرواح .

الأول : إنها همهمة تدور بين بعض الناس .

الثانى : لا واللّه ، ما كانت هذه الهمهمة لتنبع من نفوس المسلمين ، إنها همسات اليهود والمنافقين ، فحذار حذار أن تعيدها .

صوت : بسم اللّه الرحمن الرحيم ﴿ وإذ يعدكم اللّه إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد اللّه أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ﴾ .

(موسيقى)

الراوية : **وعرفت قريش أن قافلة تجارتهم قد نجت من محمد ، وأن أبا سفيان قد أخذ طريقه إلى مكة فأراد بعضهم العودة .**

صوت : فما أصبح لنا فى القتال أرب ولا فائدة ، وقد نجا أبو سفيان بتجارته .

أبو جهل : لا واللّه ، لا نرجع حتى نرد بدرًا ، فنقيم عليه ثلاثة أيام ننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقى الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وبمجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها .

(صوت حوافر حصان)

أبو جهل : من القادم ؟

صوت : إنه قابل من قبل مكة (**يقترب صوت الحوافر جدا ثم ينقطع**) .

صوت : إنى رسول أبى سفيان إليك .

أبو جهل : وماذا يريد ؟

الصوت : إنه يقول إنكم خرجتم ، لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم ، وقد نجت فارجعوا .

أبو جهل : لا والله ، لا نرجع حتى نرد بدرا فنقيم .

(موسيقى)

الراوية : **وكالفراشة الحمقاء تلوب حول موتها ، اندفع أبو جهل إلى بدر وكان النبى قد نزل عند بئر بدر ، وقد أراد عليه الصلاة والسلام أن ينزل عند أول ماء بدر ، وكان الحباب بن المنذر على خبرة بالمكان والحرب فهو يسأل النبى :**

الحباب : يا رسول الله ، أرأيت هذا منزلا أنزله لك الله ، فليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟

الراوية : **فقال عليه الصلاة والسلام : « بل هو الرأى والحرب والمكيدة » .**

الحباب : يا رسول الله ، فإن هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى نأتى أقرب ماء من قريش فننزل ، ثم نكسبه بالتراب فينضب ماؤه ، ثم نبنى حوضا فنملؤه ماء ، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون .

الراوية : **وما محمد إلا بشر من البشر ، يشير فيشار فيقبل المشورة ، وقد قبلها عليه الصلاة والسلام .**

أبو جهل : أرسلوا إلى أصحاب محمد يتقصى أنباءهم ويخبرنا عنهم .

صوت : إنى ذاهب .

(موسيقى)

الراوية : **وأرسل النبى من يعرف كم بعيرا تنحر قريش فى اليوم ، فقال قائل :**

صوت : إنى ذاهب .

(موسيقى)

الصوت : **(القرشى)** إنهم ثلاثمائة يزيدون قليلا أو ينقصون قليلا .

أبو جهل : فهو النصر المؤزر .

عتبة : يا معشر قريش : إنكم والله تصنعون بأن تلقوا محمدا وأصحابه شيئا ، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل منكم ينظر فى وجه رجل قتل ابن عمه أو ابن خاله أو رجلا من عشيرته ، فارجعوا وخلوا بين محمد وسائر العرب ، فإن أصابوه ذلك الذى أردتم ، وإن كان غير ذلك لم تتعرضوا منه لما تكرهون .

أبو جهل : جبنت واللات وأردت الحكمة .. أنترك دم عمرو مراقا لا نثأر له ، هيه يا عامر بن الحضرمى ألا تطلب ثأر أخيك ؟

صوت : وا عمراه !

(موسيقى)

الراوية : **وقال سعد بن معاذ للنبى :**

سعد : يا نبى الله ، نبنى لك عريشا تكون فيه ونعد عندك ركابتك ، ثم نلقى عدونا فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى جلست على ركابتك فلحقت بمن

وراءنا من قومنا ، وقد تخلف عنك أقوام يا نبى الله ما نحن بأشد لك حبا منهم .. ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك .. يمنعك الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك .

(موسيقى عنيفة)

الراوية : واندلعت الحرب بين إيمان وزهو ، بين دين وكبر ، بين نبى وظالمين ، بين الله والشيطان ، وراح النبى يدعو فى عريشه قائلا : « اللهم هذه قريش قد أتت بخيلائها تحاول أن تكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذى وعدتنى .. اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد بعد اليوم » فيقول له أبو بكر وهو يعيد رداءه إلى كتفه : « يا نبى الله ، بعض مناشدتك ربك فإن الله منجز لك ما وعدك » فيقول النبى : « والذى نفسى بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة » .

(ثم تخفت الموسيقى قليلا وتظل مصاحبة للمشهد)

(موسيقى عنيفة)

الراوية : واندفع المسلمون إلى القتال يذودون عن دينهم ، ويردون العذاب الذى لاقوه ويرسون الأساس الأول لفتح الله ، إنه الفتح الأول ، وإنه دين الله .. ونزلت الآيتان : ﴿ يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون * الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم

ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين ﴾ واطمأن النبى إلى النصر ، واطمأن المسلمون .. وأخذ النبى يسير بين خيالة الكفر يمسك بالحصى ، ويرمى به فى وجوههم : « شاهت الوجوه » وشاهت الوجوه ، وانخذل الكفار ، وعاد زهوهم ضيعة وكبرهم انكسارا ، وكيف لا ينهزمون والله يقول : ﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ ؟ وكيف لا ينهزمون وسبحانه يقول : ﴿ إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ﴾ « صدق الله العظيم » .

* * *

الفصل الثانى عشر

« أصحاب الفيل »

(موسيقى عنيفة)

الراوية : **أرسل المثنى إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يقول له :**

صوت : إلينا أمير المؤمنين . لقد اجتمع الفرس وأمروا عليهم يزدجرد بن شهريار بن كسرى وأخذوا يُكتّبون الجيوش لحرب العرب . وثار أهل العراق بنا نحن المسلمين فاضطررنا إلى الانسحاب حتى شارفنا التخوم من الجزيرة . إلينا أمير المؤمنين .

الراوية : **خرج هذا الرجل من عند عمر وبيده كتاب إلى عمال الأمير فى بلاد العرب جميعها يقول فيه :**

الصوت : لا تدعوا أحدًا له سلاح أو فرس أو نجدة أو رأى إلا انتخبتموه ثم وجهتموه إلىّ . والعَجَل العَجَل .

الراوية : **إنه عمر يأمر ، وإنهم عماله من يتلقون الأمر . فما هو إلا الطريق يقطعه الذاهب حتى ينفر القوم يلبون عمر .**

أصوات : لبيك أمير المؤمنين .. لبيك .

الراوية : **ويقول عمر .. والله لأضربن ملوك العجم بملوك العرب .**

أصوات : لبيك .. لبيك .

الراوية : **وخرج عمر بالناس حتى بلغ ماء صرار فعسكر به ، والناس لا يدرون إن كان عمر هو من سيقود الجيش أم أنه سيولى عليه من يراه . وعمر نفسه لا يقطع أمرا بغير مشورة فهو يسأل عامة الناس فيقول قائلهم :**

صوت : سر .. وسر بنا معك .

الراوية : **ولكن عمر يرجع إلى خاصة مشورته فيقول عبد الرحمن بن عوف :**

عبد الرحمن : أقم وابعث جندا ، فقد رأيت قضاء الله لك فى جنودك قبل وبعد ، فإنه إن يهزم جيشك ليس كهزيمتك . وإنك إن تُقتَل أو تُهزَم فى أول الأمر خشيت ألا يكبر المسلمون وألا يشهدوا ألاّ إله إلاّ الله أبدا .

الراوية : **فجمع عمر المسلمين وخطبهم ، وكان مما قال : « يحق المسلمين أن يكونوا وأمرهم شورى بينهم ، وإنى إنما كنت كرجل منكم حتى صرفنى ذوو الرأى منكم عن الخروج . فقد رأيت أن أقيم وأن أبعث رجلا » . ثم أخذ عمر يستشير القوم فيمن يرسله . وبينما هم يتداولون الأسماء جاء خطاب إلى أمير المؤمنين من سعد بن أبى وقاص ، فإذا أحد الجالسين يقول :**

صوت : قد وجدت الرجل يا أمير المؤمنين . إنه الأسد فى براثنه أول من رمى بسهم فى سبيل الله ، فداه النبى بأبيه وأمه فقال : « ارم سعد فداك أبى وأمى » ..

رجل يقول : إن يوما أتى عليه فكان ثلث الإسلام ، فهو ثالث ثلاثة أسلموا . إنه الرجل يا أمير المؤمنين سعد بن وهيب ، سعد بن أبى وقاص .

الراوية : **وأجمع الناس أمرهم على سعد بن أبى وقاص . وأرسل إليه عمر ابن الخطاب يستقدمه فقدم له : « يا سعد ، سعد بن وهيب ، لا يغرنك من الله أن قيل خال الرسول ﷺ وصاحبه ، فإن الله عز وجل لا يمحو السيئ بالسيئ ، ولكنه يمحو السيئ بالحسن ؛ وليس بين الله وبين أحد سبب إلا بطاعته . فالناس شريفهم**

وضعيفهم فى دين الله سواء يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عنده بالطاعة . فانظر الأمر الذى رأيت النبى ﷺ يلزمه فالزمه . وعليك بالصبر » . ثم عقد له لواء الجيش ، وانبعث سعد إلى العراق أميرا على جيش من أكبر الجيوش التى عرفتها العرب .

(موسيقى عنيفة)

صوت : أرى رجلا يبدو على مبعدة ، ثم تحجبه عنا الهضاب . أتراه يا أبا محجن ؟

أبو محجن : نعم ، إنى أراه .

الأول : ما أظنه إلا عينا من الأعداء جاءت ترقبنا .

أبو محجن : أنتركه ؟

الأول : بل لابد لنا من إدراكه .

أبو محجن : يا أمير الجيش .. أرى رجلا يرقبنا ويحرص على ألاّ نراه .

سعد : إنى أراه منذ أمد بعيد .

الأول : أنسكت عنه ؟

سعد : لا ، بل اتركوه حتى تنتهى هذه البروج .

الأول : وما شأن هذه البروج يا بن أبى وقاص ؟

سعد : إنها بروج العجم بنوها ليلقوا منها أعداءهم . ولكننى أراها خاوية لا أحد فيها .

الأول : ومن أين عرفت أنها خاوية ؟

سعد : لو كان فيها أحد ما أرسلوا إلينا هذا الرجل ليرقبنا .

أبو محجن : وماذا تراه يريد ؟

سعد : يريد أن يعرف عددنا وعدتنا .

أبو محجن : أنتركه إذن ؟

سعد : لعله من المفيد لنا أن يعرف العجم عددنا .. فنحن ما نزال فى انتظار المدد ، وسوف يتضاعف عددنا . فلنترك العدو يعتقد أننا قلة حتى إذا باغتناه مجتمعين بأضعاف ما انتظر من الجيوش ، انهارت منه القوة وسارع إلى الهزيمة .

الأول : فداك أبى وأمى يا سعد .

سعد : بعض هذا يا أخا العرب .

أبو محجن : ولكن أنترك هذا الرجل وشأنه حتى يبلغ مأمنه .. ما ضرنا لو أتينا به ليدلنا هو على عدد جيشه وعدته .

سعد : لقد أرسلت من يرقبهم يا أبا محجن ، ولكن يجب ألا نترك هذا الرجل دون أن نعرض له ، وإلاّ أدرك أننا نخدعه .

أبو محجن : فأنا له أيها الأمير .

سعد : أنت يا أبا محجن ؟.. أخشى أن يخدعك بدنٌ من الخمر فتفضى له بسر الجيش جميعا .

أبو محجن : **(ضاحكا)** أنا لا أشربها أيها الأمير .

سعد : أتقسم ؟

أبو محجن : لا أشربها إلا فى المساء .

سعد : أقسمت يا أبا محجن ، لو حملت إلىّ مخمورا فى هذه الحرب ، لأقمت عليك الحد وقيدتك فلا تحارب .

أبو محجن : لن أحمل إليك أيها الأمير . أأطارد هذا الرقيب ؟

سعد : طارده ولا تمسك به .. اجعله يعتقد أنك تريد أن تأسره ولكن لا تفعل .. هلم .

(صوت حوافر خيل)

أبو محجن : لقد ذهب إلى معسكر أيها الأمير .. ولكن ..

سعد : ولكن ماذا ؟

أبو محجن : فى طريقى إليك رأيت كوكبة من الخيل قادمة إلينا .

سعد : فأعدوا لها .. أعرفت فيم قدومهم ؟

أبو محجن : لا ، ولكنى لم أر عليهم هيئة المحاربين .

سعد : هل انضم إليهم الرقيب الذى كنت تطارده ؟

أبو محجن : لا ... إنه لم يرهم ... فقد طاردته من طريق وعدت من طريق آخر فرأيتهم .

سعد : فاكمنوا لهم حتى إذا ظهروا ..

(موسيقى عنيفة وقعقعة سيوف)

سعد : من أين أنتم ؟

صوت : من الحيرة .

سعد : ومن هذه التى تحملونها ؟

الصوت : إنها ابنة أمير من أمراء فارس فى طريقها إلى صاحب الحيرة .

سعد : أتعرف من نحن ؟

الصوت : أعرف ، ولكنى لم أتوقع أن تعسكروا هنا .

سعد : ولم ؟

الصوت : إن الأنباء التى بلغتنا لم تقل إنكم ستمرون من هذا الطريق .

سعد : وكيف رأيت أنباءكم ؟

الصوت : رأيت جنودنا صرعى ، ورأيت أبطالنا أسرى . ورأيت الهول الآخذ والبلاء المقيم ...

(صوت قهقهة تنتهى بصوت الراوية)

الراوية : **وتسامع الفرس بما كان من أسر الأميرة ومن معها ، ومن فرار القوة التى كانت تحف بها فألقى الذعر إلى نفوسهم . وأ**

أميرهم يزدجرد يدعو إليه رستم أكبر قائد عرفته الفرس . حتى إذا مثل بين يديه :

يزدجرد : أرى العرب قد أرسلت إلينا جيشا لا قبل لنا به ، وما أرى بين قوادى من يطيق حربهم إلا أنت .

رستم : بقيت يا مولاى ، إنما الحرب تدبير وخديعة ، وقد تجد من يجيل السيف مثلما أجيل ، ولكنك لن تجد من يرسم الخطة كما أرسمها .

يزدجرد : ولكنهم أسروا ابنة مرزبان الحيرة وهم مقيمون بأبوابنا ، لا نطيق حربهم . فإن لم تخرج إليهم أنت هزمنا ... وفى هزيمتنا فناء للدولة الفارسية ، وانهيار لصروح المجد التى أقامها الآباء والأجداد .

رستم : ولكنى إن هزمت أنا فقد الفارسيون ثقتهم بى ، وأنت فى حاجة إلى هذه الثقة ، وما يفيدك يا مولاى أن أخرج إليهم فأهزم ، فيكون فى هذه الهزيمة الفناء والدمار .

يزدجرد : ومتى تخرج إن لم تخرج اليوم ، والدولة مشرفة على الهلاك ؟!

رستم : إن العرب سوف ترسل إليك الجيوش يتلو بعضها بعضا ، فلو أقمت هنا وهزم جيشنا فسأظل هنا لأدبر للحرب التى تليها ، أما لو خرجت اليوم وهزمت فهيهات لى أن أقود جيشا بعدها أبدا . فإن أنت أرسلتنى يا مولاى فكأنى بك تلقى بقوتنا جميعها دفعة واحدة ، وإنك لتلقيها غير مضطر إلى ذلك ...

يزدجرد : 'ذا تريد أن تفعل ؟

رست. : .ـ أن أرسل الجيوش بإمرة غيرى ، حتى إذا هزموا كنت أنا من ورائهم أهيئ لهم المدد وأرسم الخطط وأنتظر العرب وأماكرهم حتى أهزمهم .

يزدجرد : لا يا رستم ، أنا لا أرى رأيك .

رستم : فمرنى يا مولاى .

يزدجرد : اخرج يا رستم ، ولكن أريدك أن تخرج مليئا بالثقة ، متحفزا للنصر .

رستم : مولاى ، إن رستم فى ميدان القتال يحارب عن تاريخه جميعا وعن دولته وعن ملكه . وإن رجلا هذا شأنه لا يمكن أن يضعف .

يزدجرد : وحق النار المقدسة إنك الرجل يا رستم .. إلى الحرب أيها القائد .. فى رعاية النار المقدسة .

(صوت جونج)

سعد : فى رعاية الله أيها الوفد الكريم .

الرسول : وبقيت فى رعايته يا سيدى الأمير .

سعد : أعرفت إلى من توجه حديثك ؟

الرسول : إلى يزدجرد .

سعد : وتجاهل قائد جيشه رستم كأنك لا تسمع عنه .. ليكن حديثك إلى أميرهم . وأنتم أيها الإخوان دعوا الحديث لنعمان بن المقرن والمغيرة ابن شعبة والمعنى بن حارثة .

(جونج)

الرسول : أين أميركم ؟

صوت : وماذا تريدون منه ؟

الرسول : نريد أن نلقاه .

الصوت : ومن تكونون ؟

الرسول : وفد من قبل سعد بن أبى وقاص أمير جيوش العرب .

الصوت : فأنتم تريدون القائد رستم ؟

الرسول : **(ساخرا)** القائد من ؟!

الصوت : القائد رستم .

الرسول : إنا لا نعرف القائد .. أنا أريد الأمير .

الصوت : ولكننا لا نسمح لكم بلقائه .

الرسول : إذن أعود طريقنا إلى جيشنا ، وموعدنا غدا .

الصوت : فانتظرونا حتى أنظر فى أمركم .

الرسول : بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ إنهم يكيدون كيدا * وأكيد كيدا * فمهل الكافرين أمهلهم رويدا ﴾ .

الصوت : تعال أيها الرسول .

(أصوات خطوات)

يزدجرد : أى حظ تعس رمى بكم إلى هذه البلاد ؟

الرسول : إن الحظ التعس أيها الأمير محيط بكم ، إن أنتم لاقيتم العرب فى طريقهم إلى المجد والخلود والنصر .

يزدجرد : أجب أيها الرجل ، ما الذى جاء بكم ؟ لعلكم قد غرتكم نفوسكم حين رأيتم تشاغلنا عنكم .

الرسول : إن الله قد بعث فينا رسولا يحمل إلينا نوره وهداه . وكنا مثلكم نعبد ما نصنع بأيدينا حتى أتاح الله لنا الهدى بعد الضلالة ، والنور بعد الظلمات ، فكفرنا بالأصنام وعبدنا الله مخلصين له الدين ، وأنتم ما تزالون على ضلالتكم .

يزدجرد : وما شأنكم بنا ؟

الرسول : إن رسالة الحق لا بد لها أن تبلغ العالم أجمع . إن الله من أرسلها ونحن دعاة الحق نبصركم الرشد من أمركم ولا نفرض عليكم الإسلام ، وإنما نفرض عليكم أن تصغوا إلى دعوته ثم شأنكم بعد هذا .

يزدجرد : وماذا تبغون منا ؟

الرسول : إن أجبتم إلى ديننا ودخلتم فيه خلفنا فيكم كتاب الله ، وأقمناكم عليه على أن تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم . وإن أبيتم فالجزية ، فإن أبيتم فالحرب .

يزدجرد : أنا لا أعلم أمة كانت أشقى ولا أقل عددا ولا أسوأ ذات بين منكم . وقد كنا نعتمد على القرى والضواحى لتحاربكم ونردكم على أعقابكم ، وما كنا لنغزوكم ، وما كنا نظن بكم الخبل إلى درجة أن تقدموا أنتم على غزونا . فإن كان عددكم كثر فلا يغرنكم كثرته ، وإن كنتم جياعا فرضنا لكم قوتا حتى تخصب أرضكم ، وكسوناكم وملكنا عليكم ملكا يرفق بكم .

الرسول : إننا أيها الملك جياع ولا نملك إلا سيوفنا وخيولنا ، وخير ملبسنا ما تراه . ولكننا هنا فى ملكك وأنت بين جندك وفوق إيوانك ندعوك فاختر لنفسك طريقا : الإسلام أو الجزية أو الحرب .

يزدجرد : لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم ولا شيء لكم عندى ، بل عندى لكم شيء .. أنت أيها الحارس ضع التراب على كتف أشرافهم . من أشرفكم ؟.

صوت : **(غير صوت الرسول)** أنا أشرفهم .

يزدجرد : ضعوا التراب على كتفه ، واحمله إلى أميرك .

الصوت : والله لأحملنه إليه .. اطمئن أيها التراب ، إنك عائد إلى مقرك وقريبا ما تعود .

(موسيقى عنيفة)

سعد : لقد حملك مقاليد ملكه .. هى الحرب إذن . فالجهاد .. الجهاد أيها العرب .. الله يناديكم .

أصوات : لبيه .

سعد : إن الله هو الحق لا شريك له فى الملك وليس لقوله خلف ، وقد قال عز ثناؤه : ﴿ ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون ﴾ إن هذا ميراثكم وموعد ربكم ، وقد جاءكم هذا الجمع وأنتم وجوه العرب وخيار كل قبيلة وعز من وراءكم ، فإن تزهدوا فى الدنيا وترغبوا فى الآخرة جمع الله لكم الدنيا والآخرة .

(موسيقى)

الراوية : **إلا أن سعدا أصابه مرض عنيف ، فهو قعيد فراشه لا يطيق الركوب . ولكن هيهات ، فإن سعدا لا يقبل هذا القعود ، وإنما هو يشرف على الجند من شرفته ويأمر فيبلغ أمره إلى الجيوش . وقبل أن تبدأ المعركة حمل بعض الجنود أبا محجن الثقفى إلى سعد ابن أبى وقاص ، وكان أبو محجن مخمورا لا يستقيم .**

سعد : فعلتها أبا محجن .

أبو محجن : ماذا فعلت يا مولاى ؟

سعد : شربت الخمر .. وآن لى أن أقيم عليك الحد . بل فاعل بك أكثر من هذا ، إنى لمحتجزك فلا تحارب . سأقيدك فلا تدخل المعركة .

ن : بربك يا سيدى افعل بى ما تريد . ضاعف الحد . افعل بى ما شئت ولكن لا تمنعنى عن الحرب . حياتى هباء إن لم أحارب . بربك يا سعد ، بربك أيها الأمير .

د : لقد أقسمت ، وهيهات أن أحنث .

و محجن : بحق سابقتى فى الجهاد ، بحق جيوش سرنا فيها معا إلى النصر ، بحق الأيام الخوالى ، الحرب حياتى . إنها أملى فى الغفران ، إنها رجائى

فى التوبة .

سعد : أقيموا عليه الحد .. وقيدوه .

أبو محجن : واسعداه !

سعد : **(فى حزم)** قيدوه .

الراوية : **وبدأت الحرب ، وكانت الوطأة على العرب شديدة ، فقد أطلق الفرس الفيلة تتقدم جيوشهم ، والعرب حائرون فهم قد عودوا الحرب مع الرجال ولم يمارسوها مع الفيلة . الفيلة تسير فتفتك وتدوس لا ترى السيف فتخشاه ، ولا تحس الحراب فتتقيها . إنما هى فيلة تسير فتقتل حيث تسير . وانتهى اليوم الأول والعرب لم تنهزم ولكنها أيضا لم تنتصر . حتى إذا كان الصباح جاء المدد واختفت الفيلة ، فقد تحطمت توابيتها وعكف عليها بعض القوم يصلحونها ، ودارت المعركة بين رجال ورجال أو هى بين إيمان وإلحاد ، بين دعاة الله والحق وبين عباد النار ووقودها . ولكن أبا محجن لا يحارب فهو يرسل إلى زوجة سعد أحد عبدانها ..**

صوت : يسألك أبو محجن أن تفكى قيده ليمضى إلى المعركة ، حتى إذا انتهت عاد إلى قيده . ويسألك أن تعيريه البلقاء فرس سيدى سعد .

(موسيقى)

نفس الصوت : إنها ترفض ذلك يا أبا محجن .

أبو محجن : كفى حزنا أن ترتدى الخيل بالقنا ... وأترك مشدودا على وثاقيا

إذا قمت عنّانى الحديد وأغلقت ... مصاريع دونى قد تصم المناديا

وقد كنت ذا مال كثير وإخوة ... فقد تركونى واحدا لا أخا ليا

و لله عهد لا أخيس بعهده ... لئن فرجت ألا أزور الحوانيا

الراوية : **فلما سمعت زوج سعد شِعره أرسلت إليه عبدها يقول :**

الصوت : لقد استخارت سيدتى الله ورضيت بعهدك ، على أن تعود إلى القيد بعد المعركة .

الراوية : **وانطلق أبو محجن إلى المعركة فى يومها الثانى وظلت المعركة دائرة حتى أوغل الليل والعرب تذيق الفرس الأهوال ، وترد إليهم ترابهم الذى حملوه موتا آخذا . ولكن النصر لا يتم وإنما ما تزال بالفرس قوة عنيفة أبقتها عليهم كثرتهم ووجود رستم على رأسهم . وينتهى اليوم الثانى ويعود أبو محجن إلى قيده وفيا بعهد أخذه على نفسه لزوجة سعد وهو يسألها أن تفعل به فى الغد مثلما فعلت اليوم فتقبل . وفى اليوم الثالث للمعركة تعود الفيلة وترجع إلى ما كانت تفعله بالعرب ، ولكن سعدا يجد وسيلة .**

(جونج)

سعد : أريد بعض أسرانا من الفارسيين .

صوت : أمرك يا سيدى **(صوت أقدام تنصرف)**

سعد : أما ترى إلى هذه الفرس ؟

صوت : نعم .

سعد : إنها البلقاء .. وهذا الذى عليها .. لولا أننى حبست أبا محجن لقلت إنه هو .. راكبا البلقاء .

الصوت : أراك محقا يا مولاى .

سعد : بربك إلا رقبت هذا الفارس فهو يجول بين الفُرس وكأنه الإعصار اللاهب ، فإذا انطلق إلى خضم المعركة فهو الريح .

صوت : **(الذى ذهب لإحضار الأسرى)** الأسرى يا سيدى .

سعد : أخبرنى أنت .. كيف تقتلون الفيلة ؟

الفارس : من مشافرها وعيونها .

سعد : **(صائحا)** مر بهم أن يضربوا الفيلة فى عيونها وفى مشافرها .

الراوية : **وقتلت الفيلة فقد استهدف العرب مقاتلها فقتلوا بعضها . وحلا لأحد الفيلة أن يلقى بنفسه فى النهر فتبعته الفيلة الأخرى . وخلص العرب إلى الفرس لا تمنعهم الحيوانات . ورأى العرب فى تخليصهم من الفيلة نصرا من الله مؤزرا . وكان النصر ، واستولى العرب على القادسية وما هو بجديد نصرهم ، فقد شاء ربك أن يهزم أصحاب الفيل دائما سبحانه .**

* * *

الفصل الثالث عشر

« وامعتصماه »

(موسيقى)

صوت : **(فى فزع)** أين مولاى المعتصم ؟

آخر : وفيم تريده ؟

الصوت : لا تكثر السؤال ، أين هو ؟

آخر : فى الديوان .

الصوت : تعال معى .

(موسيقى)

الصوت : مولاى .

المعتصم : ماذا ؟

الصوت : لقد هاجمنا الروم .

المعتصم : ماذا تقول ؟

الصوت : تركتهم على حدود الدولة الإسلامية ، فقدمت إليك .

المعتصم : لقد غافلوا عيوننا عليهم ... ادع النفير .

(موسيقى)

ملك الفرنج : **(ضحك عال)** ها قد بلغنا المقصد . والمعتصم ما يزال معتصمًا بدياره .

الوزير : والله يا مولاى لو لم تكن غافلتهم لتعذرت هزيمتهم ، فإنهم لم يعرفوا الهزيمة أبدًا .

ملك الفرنج : اليوم يعرفونها . ادع الجيش إلى الهجوم .

الوزير : وفيم الهجوم يا مولاى ولا جيش أمامنا ؟ إنما هى مدينة لن تجد بها إلا الشباب قد ألقى سلاحه ، والمرأة تنتظر زوجها ، والرجل العجوز لزوم كسْر بيته ، يروى عن الشباب الذاهب وينتظر الغذاء القادم .

الملك : **(ضاحكا)** ستكون للشباب ألقى سلاحه ، وللمرأة تنتظر زوجها العائد ، وللعجوز يلتمس غداءه السم الزعاف .

الوزير : ألا ننذرهم يا مولاى ؟

الملك : أجننت ؟

الوزير : فلا والله لست بهذا .. وإنما أخشى أن يكون انتقامهم بقدر الشر الذى نلقيه عليهم .

الملك : مر الناس بالهجوم ودع الغد للغد .. هلم .

(صوت نفير شديد وحوافر خيل)

صوت : أترى إلى الجموع الزاحفة ؟

آخر : إنها الموت الآخذ .

آخر : ما رأيت كاليوم جبانًا .

آخر : أجبان من يقول الحق ؟!

آخر : جبان من يذكر الموت .. إننا نحارب فى سبيل حريتنا ، ولا يجرؤ الموت أن يصبو إلى من يدافع عن حريته .

آخر : أرأيت لو أن السيف قد اخترم قلوبنا وتركت أرواحنا الأجساد ، أليس هذا هو الموت ؟

آخر : ذاك هو الحياة .. إنها الحرية ... من مات فى سبيلها وهبت له الحياة الخالدة ... **(يرفع صوته)** حى على الجهاد .

(موسيقى قليلة)

ملك الفرنج : أترى إلى المدينة ، ليخيل إلى أن جيشا يلاقينا .

الوزير : لقد عرفوا بالهجوم .

ملك الفرنج : ويلى للخائن .

الوزير : ما أحسبه إلا واحدًا منهم ، وقد رآنا فأخبر أهله .

الملك : الويل له منهم كان أو منا .

الوزير : أتعاقب الرجل أن يخبر قومه عن جيش يغير على غرة ؟

الملك : هيهات أن يجدى دفاعهم فتيلاً ، فما أحسب المعتصم قد علم عن قدومنا ، وما أحسبهم إلا قلة ضئيلة لن تثبت إلا ريثما تنهزم .

الوزير : ما أحسب الأمر كذلك يا مولاى ، فإنهم يحاربون عن حريتهم ودينهم وما حارب عن هذين أحد إلا انتصر .

الملك : أقدم فإنما النصر لمن أقدم .

الوزير : إنما النصر لمن دافع عن الحق .

الملك : أيهزمنا هؤلاء ؟

الوزير : إن قلتهم ضئيلة ، وما إخالهم ينتصرون ، ولكننا سوف نخسر الكثير قبل أن ننتصر .. وسيكون نصرنا يومذاك لكثرتنا الكثيرة ولقلتهم القليلة .

الملك : إنه النصر وما يهم من بعد لمن يتم .. إلى القتال .

(موسيقى عنيفة يتخللها صليل السيوف وصهيل الخيل تشتد شيئًا فشيئًا ثم تهدأ) .

الملك : النصر لنا .

صوت : لقد خسرنا من الرجال كثيرًا .

الملك : ولقد أسرنا منهم الكثير وقتلنا ... أعرضوا الأسرى .

صوت : من بين الأسرى يا مولاى سيدة دافع عنها قوم دفاعا عنيفاً وما أحسبها إلا من السادة .

الملك : هاتها .

صوت : أمر مولاى .

الوزير : ماذا أنت فاعل بها يا مولاى ؟

الملك : سوف ترى .

الوزير : ها قد جاءت .

الملك : تقدمى يا امرأة .. من أنت ؟

السيدة : هاجمت والليل أسود واتخذت الخداع وسيلة إلى الآمنيين . ولو قد أنذرتنا لرأيت الهزيمة كيف تكون ، ولكنت أنت اليوم أسير يشار بك فتضرع ، ويومأ إليك فتخضع .

الملك : إن لك لسانا يضمن لك الهلاك .

السيدة : ويحك ! هل ثمة هلاك بعد هزيمة انصبت علينا وحرية فقدنا ؟!.

الملك : هناك الموت .

السيدة : إن مثلك من يخشاه .. أما نحن فحريتنا حياتنا ، وليس بعد فقدانها حياة .

الملك : فأخبرينا يا امرأة من أنبأكم أنا قادمون ... وهل عرف المعتصم ؟

السيدة : أخيانة تريدنى عليها ؟

الملك : لقد صبرت على قول منك عنيف لتخبرينا ، فوالله إن لم تخبرى لأجعلنك أمثولة بين قومك .

السيدة : إن من يتخذ الليل ستارًا يروع الآمنيين من ورائه ، ليس غريبـ عليه أن يهدد امرأة .

الملك : إننى أعرف ما تهدفين إليه ، إنك تريدين أن تطيلى الحديث حتى تسنحى الفرصة لجيش المعتصم أن يأتى ولن يكون هذا .. أيها الوزير .

الوزير : مولاى .

الملك : مر القوم بالرحيل واصحب هذه المرأة معنا .. واقتل الأسرى الآخرين .

الوزير : **(فى جزع)** أقتل الأسرى ؟!

الملك : نفذ ما أمرت به .

الوزير : **(فى استسلام)** أمر مولاى .

(موسيقى)

الملك : إنك الآن فى القسطنطينية ، وإن بينها وبين المعتصم ما تعلمين من صحراء واسعة وأيام طوال .. فقولى من وشى بنا عندكم ... أهو منا أم هو منكم ؟.

لسيدة : نحمد الله تعالى أن ولى أمرنا من جعلك تهرب هروب اللصوص .

الملك : **(فى غضب)** اجلدوا المرأة حتى تخبرنا عن الواشى .

(صوت وقع السياط)

(موسيقى)

السيدة : وامعتصماه ... وامعتصماه .

الملك : **(ساخرًا ضاحكًا بشدة)** سيوافيك على الخيل البلق .. **(ضاحكًا)** أجل على الخيل البلق .

صوت : وما الخيل البلق يا مولاى ؟

الملك : هى الخيل السوداء خالطها البياض .. يزعم هؤلاء المسلمون أنهم سيدخلون الجنة عليها .. **(ضحك شديد)** وهكذا سيأتى

المعتصم إلى هذه المرأة على الخيل البلق ، **(ضحك)** الخيل البلق .

(موسيقى)

صوت : وهكذا يا مولاى أخذ يسخر منها ، ثم ضحك ضحكًا شديدًا حين قال إن المعتصم سيوافيها على الخيل البلق .

المعتصم : أمن هذا يسخر .. والله لأردن سخريته إلى صدره .. أذّنوا فى الناس كل من يملك فرسًا أبلق فإن الخليفة يريده ليدافع عن الدين وعن الحرية وعن الكرامة .

الصوت : ألا تريد إلا الفرس الأبلق ؟

المعتصم : نعم والله لا أريد غير الفرس الأبلق ، والأبلق فقط .

(موسيقى)

المعتصم : كم تجمع لدينا من الخيل البلق ؟

صوت : تسعون ألفًا يا مولاى ، عليها الرجال ، أمامهم الموت فى سبيل الله .. هم طوع يمينك ..

المعتصم : حى على الجهاد .

أصوات : **(كثيرة)** حى على الجهاد .

(موسيقى)

الراوية : **وعلى الخيل البلق انبثق المعتصم يلبى الصرخة التى انبعثت إليه من بلاد الروم .. إنها "وامعتصماه" أطلقتها المرأة من عند الفرنجة فهب لها خليفة الإسلام .. وإنها سخرية من ملك فاجر ردها خليفة الإسلام انتصافًا للحق واعتزازًا للمروءة .. وعلى الخيل البلق انتصر المعتصم ، وبالخيل البلق انهزم ملك الروم ، وعلى الخيل البلق عادت السيدة العربية .. لقد كانت هذه الخيل رجع ندائها .. خلق عربى فى الشواهق العليا من**

الخلق .. امرأة ضعيفة تأبى على الملك المنتصر أن يستل منها سرًا .. وخليفة عربى يأبى أن يستصرخ فلا يجيب . فما هو إلا رجع صدى الصرخة حتى يعود معها خليفة وجيش وخيل بلق .. فما لنا إذن غلف القلوب سراع إلى الزلل وقافون عن الخير ؟ وما لنا .. ما لنا لا نلقى إلى تلك القمم الساطعة نظرة تهدينا السبيل ؟.. وما لنا لا نقتبس ضوءا من شرفات التاريخ ؟.

الفصل الرابع عشر

« ضيف وأبناء »

صوت : مبارك والله حجنا هذا العام يا أسامة .

أسامة : مبارك إن شاء الله . فوالله ما تمنيت من حياتى حجة خيرًا من هذه . نحمدك اللهم .. لقد هيأت لنا أن نهفو إلى بيتك الكريم على رأسنا ابن عم نبيك .

الصوت : وأى عم من أعمام نبيه !.. إنه العباس فتى العرب وسيفهم .. وإنه من وقف النبى على جثته يوم مات يبكيه فيوغل فى البكاء .. ثم هو عليه الصلاة والسلام يذكر الخير الذى هيئ له فى الحياة الأخرى .. فتمس قلبه خفقة من راحة .

أسامة : ثم هو يذكر بكاءه الذى كان فيعزوه إلى شوق سليم به أن فارقه عمه .. فهو إنما يبكى من الشوق ولا حزن .. نعم والله .. لقد كان العباس درع النبى وسيفه وصاحبه حين أشرق الحق على النبى فأمر بالدعوة .

الصوت : لم يكن العباس قد أسلم بعد ، ولكنه كان حربًا على أعداء النبى ، سيفًا عليهم لا يلين .

أسامة : ثم أذن الله فأشرق نور الإسلام فى نفس العباس ، فكان مجدًا للإسلام وعزًا ، ذكرنا العباس ـــ أخى ـــ وفضله وسابقته فى الإسلام ، ونسينا والله فضل هذا الذى يحج بنا فى عامنا هذا .

الصوت : أو مثل هذا ينسى ؟! إنه عبد الله بن العباس ، الأصيل ابن الأصيل .

أسامة : بل قل أعلم من عرفه العرب ، وأفقه المسلمين بشئون دينهم .. لقد

والله رأيت الناس يضربون أكباد الإبل من أقاصى الأرض يسألونه فى أمر من أمور دينهم ، فإذا هو يتدفق كالجدول العذب ، وإذا القوم يعودون .. ارتاحت نفوسهم إلى فتياه هادئة قلوبهم إلى علمه .

أسامة : مبارك والله حجنا هذا العام يا أخى .

آخر : أرى عبد الله يأمرنا بالوقوف .

أسامة : فهلم إليه نسرع الخطى عساه يريد أمرًا .

(فترة صمت) .

أسامة : أوقفتنا لشىء يا عبد الله ؟

عبد الله : بل رأيت الليل يهم بقدوم ، وأخشى أن يدركنا فى مكان وعر ، وأرى هنا سهلاً ينبسط فكأنما هو أهلاً يقولها كريم .

أسامة : إننا فى طريقنا إلى بيت الله يا عبد الله ، وما أحسب الوعر إلا منبسطًا لنا .

عبد الله : إننى والله أحب الحديث الفرحان .. هكذا والله يكون المقبل على بيت الله .

أسامة : أنتابع سيرنا إذن ؟

عبد الله : لكم أحب يا أخا العرب أن نصل ليل طريقنا بنهاره سراعًا إلى بيت رفعه الله لتهدى إليه قلوبنا ، ولكننى أحمل عبء من معى .

أسامة : أنت على الحق دائمًا .. يا بن العباس .. إنما ولاك القوم عليهم فأنت ترى لهم الخير وتثق به .

عبد الله : هو ما قلت يا أخى .. والآن أريدك أن تصحب بعض الرفاق وتبحث لنا عن مأكل فى هذا المكان أو مشرب .

أسامة : هلم يا رفاق .. هلم يا زيد .. هلم يا جابر .. هلم يا ..

(موسيقى قصيرة)

أسامة : بحثنا حوالينا فما وجدنا مأكلاً ، وإن كنا وجدنا عينا جارية .

عبد الله : أتجدون عين الماء ولا تجدون حولها مأكلاً ؟!

أسامة : إنما هى ساعة غروب ، روّح فيها رعيان ونام سامروها .

عبد الله : فهلا ذهبتم إلى هذا المرعى القريب ، لعلكم تجدون به راعيًا أو خيمة .

أسامة : نفعل يا سيدى .

(موسيقى قصيرة)

أسامة : ها قد بدت لنا خيمة .

آخر : وإن بها لنورًا .

آخر : يا صاحب الخيمة .

صوت : **(سيدة عجوز)** لبيك يا من ناديت .

أسامة : السلام عليك يا أم .

السيدة : وعليك السلام يا بنى ورحمة الله .

أسامة : أعندك طعام نشتريه ؟

السيدة : أما للبيع فلا .. ولكن عندى ما يكفينى أنا وأبنائى .

أسامة : وأين بنوك ؟

السيدة : يرعون قطيعهم ... وها قد حان موعد أوبتهم .

أسامة : وما أعددت لهم ؟

السيدة : خبزًا .

أسامة : أوليس عندك شىء آخر ؟

السيدة : لا .

أسامة : فنحن ضيف نزلنا على العين ، فإن جدت لنا ببعض الخبز حمدنـ وإن كنا نكلفك من أمرك عنتًا .

السيدة : أما أن أجود ببعض فلا ، وأما الكل فخذوه ... هاكم الخبز جميعه .

أسامة : تمنعين البعض وتجودين بالكل ؟!

السيدة : أنا أمنع ما ينال من كرامتى ، وأمنح ما يرفعنى .

(موسيقى)

صوت : السلام عليك يا أماه .

الأم : مرحبًا بالأبناء .. أين تركتم القطيع ؟

الصوت : قريبًا ها هنا .. نحن جياع يا أماه ، فهلم خبزك هلم .

الأم : لا خبز عندى لكم .

الصوت : أغاضبة علينا ؟

الأم : بل إنى أكرمتكم غاية الإكرام .

الصوت : فأنت إذن قد صنعت لنا خبيصًا من اللبن والتمر ؟

الأم : عجبت لك .. ألا تفكر فى غير المأكل ؟

الصوت : جوعان يا أمى والله جوعان ، وأخواى جوعانان ألسنا كذلك ؟

(موسيقى)

صوتان : جياع .. جياع .

الأم : كلوا الرمال إذن ، فليس عندى خبز .

الصوت : هو الخبيص إذن .

الأم : يا لك من شاعر !

الصوت : أقلت شاعر ؟

الأم : شاعر .. لا شك .. فإنه خيال ذلك الذى يهيئه لك جوعك . أتأكل أنت الخبيص وأنت فى عرض الصحراء لا تملك موقدًا . بل إنك لتعلم أننى أصنع لك الخبز على الرمال الملتهبة .

الصوت : فماذا صنعت لنا إذن ؟

(موسيقى)

أسامة : هكذا والله يابن العباس .. لقد أبت المرأة إلا أن تهب لنا كل ما صنعته من خبز بنيها .. أعطته لنا جميعه ، ثم هى لم تسأل من أنتم .. فما عرفت عنا إلا أننا قوم طلبنا فأعطت .

عبد الله : ولقد أعطت الكثير .. إنه قوتها وقوت أبنائها .

أسامة : ألا نزورها يا عبد الله ؟

عبد الله : لكم أتوق إلى هذا ، ولكنى أخشى أن أزورها فلا تجد عندها ما تكرم به ضيفها ، فيصيبها خجل لا أحب أن يصيبها ولكن ..

أسامة : **(مقاطعا)** ندعوها إليك .

عبد الله : هكذا والله أحب أن تفعلوا .. قوموا لها .

(موسيقى)

الأم : بهذا أيها الأولاد أكرمتكم .. لم يكن الخبيص صنعته لكم ، وإنما صنعت لكم أكرومة ترضى منكم نفوسا ، وإن أغضبت فيكم بطونا . هكذا أحب أن أسمعك يا بنى .

الابن : لعلك لم تسألى القوم من هم ، ومن أين ، وإلى أين ؟

الأم : ما كنت لأفعل هذا يا بنى ..

الابن : وما الضير يا أماه ؟

الأم : لعلهم كرام مشاهير فى العرب . فيظنون أننى إنما أجيب ما يطلبون طمعًا فى خير منهم أو تقربًا لأسمائهم .

الابن : فإن كانوا فقراء مهازيل ؟

الأم : فقد وجبت الصدقة إذن .

صوت : **(أسامة يأتى من الخارج)** يا صاحبة المعروف .

الأم : إياى تقصد يا صاحب الصوت ؟

أسامة : السلام عليك ورحمة الله .

الأم : مرحبًا بالضيف .. هؤلاء أولادى وقد عادوا من المرعى .

أسامة : أهلاً بأولاد الكريمة .. ما أرى إلا أننا حرمناكم طعامكم منذ الليلة .

الابن : هنيئًا لكم أيها الضيوف .

أسامة : قدمنا ورجاؤنا أن تجيبوا لنا رجاء .

الأم : إن كان فى الطوق .

أسامة : إننا قوم من المدينة خرجنا نريد الحج ، وعلى رأسنا علم من أعلام الإسلام قصصت عليه ما كان من برك بنا ، فأراد أن يراك ويرى أولادك .

الأم : ومن صاحبكم ؟

أسامة : عبد الله بن العباس .

الأم : وربك هذا الشرف الأعلى .. هلم بنا .

(موسيقى)

عبد الله : مرحبًا بالكرام .

الأم : مرحى بك .. ابن العباس .

عبد الله : ممن أنت يا خالة ؟

الأم : من بنى كلب .

عبد الله : وكيف حالك ؟

الأم : آكل الخبز ، وقد صنعته على الحجر بغير موقد ، ثم أنا لا أكثر . وأشرب الماء من عين صافية فإذا نفسى فى الصفاء كالماء .. وإذا بى أنام والهموم لا تعرف إلىّ سبيلاً .

عبد الله : الحمد لله .. أعرفت فيما طلبت أن أراك ؟

الأم : لا والله .. إنما قيل لى عبد الله بن العباس فحثثت إليك الخطى ،

ويسبقنى الشوق إلى رؤية ابن عم رسول الله ، وأعلم العرب ، وأفقه الناس بالدين الحق .

عبد الله : إنما أردت أن أكرم إكرامك وأكافئك عليه .

الأم : والله لو كان ما فعلته معروفًا ، فما كنت لآخذ عنه بدلاً .. فكيف وهو شيء يجب أن يشارك الناس بعضهم بعضًا فيه .

عبد الله : وماذا فعلت لبنيك حين عادوا جياعًا ؟

الأم : يا بن العباس .. لقد عظمت عندك خبزتى حتى أكثرت فيها الكلام .. أشغل فكرك عن هذا فإنه يفسد المروءة .

عبد الله : وأنتم أيها البنون .

الابن : لبيك .

عبد الله : أحب أن أساعدك بالمال ؟

الابن : نحن نعيش على الكفاف ، فوجه مالك إلى من لا عيش له .

الأم : بوركت يا فتى .

عبد الله : بوركتم جميعًا .

المذيع : **وأبى الابن ، وعزفت المرأة أن يصيبهم خير لقاء واجب يؤدونه .. خلق عربى أشم يعلو فيصعد إلى السماء .. وهناك يلقى المكافأة والجزاء . فما لنا لا ننظر لغير الأرض ، وما لنا نبتغى النفع العاجل على غير عمل نقدمه ، وما لنا نبخل حتى لنكاد نخنق أنفسنا بأيدينا .. لو أننا نظرنا التاريخ ..**

(موسيقى)

الفصل الخامس عشر

« ستار الخير »

الزوجة : لقد أبعدت فى الغيبة يا مولاى ، ولم ترسل إلينا من لدنك رسولا ، فأهلا فى منزلك وطاب يوم عدت فيه .

الأمير : **(حزينا)** ها قد عدت يا سامية ، فقد شغلتنى عنك الحرب .

الزوجة : يا مولاى إنها الحرب ، فإن تكن اليوم قد أدبرت فإنها فى غد مقبلة ، وما أقرب الغد من اليوم .. وإنك لفارسها وفتاها .. وإنك لسيفها و..

الأمير : **(مقاطعا)** ماذا بك يا سامية .. أتظنين بى الهزيمة ؟

الزوجة : فماذا تريدنى أن أظن بهذا الوجه المقطب ، وذلك الجبين المغضن ، وهاتين العينين الكابيتين ؟

الأمير : لم تكن هزيمة ما أحاقت بنا .

الزوجة : فهى الخيانة إذن أدت بكم إلى الهزيمة .

الأمير : بربك يا سامية .. لقد انتصرنا .

الزوجة : ماذا تقول ؟

الأمير : لقد انتصرنا نصرا حاسما .

الزوجة : انتصرتم ؟.. فما لك إذن وقد اربد وجهك وعلا الحزن نفسك ... بل مالك تلقى إلى بخبر النصر وكأنما كنت ترجو الهزيمة .. سعيد .. أخاف .. ولكن لا .. لست أنت ما يفعلها ..

الأمير : ماذا تخافين ؟

الزوجة : أخاف أن يكون النصر ثمنا لكرامة مهدرة أو خديعة شائنة ..

الأمير : ويحك يا سامية لقد أبعدت بك الظنون .. انظرى بربـك أى رجـل ذاك الذى تلقين إليه الحديث .

الزوجة : رجل هو الرجولة .. إنه الأمير سعيد ..

الأمير : فمالك تسيئين الظن ؟

الزوجة : وماذا تريدنى أن أظن وأنت على حالك هذا من الحزن والألم ؟..

الأمير : لقد فجعت والله وأنا أتلقى أنباء النصر .

الزوجة : فداك نفسى أيها الزوج ـ بماذا فجعت ؟

الأمير : انهزم الأعداء وولوا الأدبار ، وتلفت يا سـامية أبحث عـن صديقـى تمام القضاعى فقيل لى إنه مات ..

الزوجة : إن الذاهب إلى الحرب ـ أيها الأمير ـ إنما يضعها حياة ـ على سـن سيف ، فإما نصرة وحياة ، وإما ميتة فى سبيل النصر .

الأمير : فوربك ما حزنت لموته ، وإنما هـو ذو عائلـة وأولاده صغـار . وقـد كان الرجل عفيفا لم يترك لزوجه ما يقيم أود الحياة لعائلته ؟

الزوجة : هون عليك أيها الأمير .. ألا فلتقم أنت أود الحياة .

الأمير : وددت والله لو كان ذاك ولكننى لم أستطع .

الزوجة : كيف ؟

الأمير : لم أطق أن أعود إليك قبل أن أذهب إلى دار صديقى فذهبت ..

الراوية : **وكان الأمير قد ذهب فعلا إلى دار صديقه الشهيد وطرق البـاب فعاجلت إليه الزوجة التى أصبحت أرملة .**

صوت السيدة : مرحبا تماما .. على الطائر الميمون عـدت إلى زوجتـك (**تفتـح الباب**) من .. مولاى .. أين تمام ؟

الأمير : على رسلك يا عفراء .. إنه ..

عفراء : إلى جنة الخلد يا تمام .

الأمير : هونى عليك يا عفراء .

عفراء : إن كان إلى تهوين من سبيل يا مـولاى ، فهـو ثقتـى أنـه لاقـى ربـه راضيا مرضيا ... بـذل حياتـه فـى سـبيل ربـه ، فلـه أجـر الشـهداء والصديقين .

الأمير : ألا من دمعة تريح بعض ما بك ؟

عفراء : لكـم أتـوق إلى تلـك الدمعـة يـا مـولاى ، ولكـن هيهـات .. فـإنى لأخشى إن أنا ذرفتها أن تغضب تمّاما وما عودت أن أغضبه .

الأمير : فالله لنا فى فقده يا أخت .

عفراء : إنـه لنـا دائمـا يـا مـولاى .. لـن يرضـى الله إلا الخير لقـوم اختـار عمادهم إلى جواره ، واصطفاه إلى سمائه ، وارتضاه فى جنات نعيـم مجاهدا فى سبيله فى الدنيا ، طامحا إلى رضاه فى الآخرة .

الأمير : نعمت الزوجة أنت يا عفراء ونعمت المرأة .

عفراء : ما أنا يا مولاى إلا قبسة مـن تمام ، وقـد كـان والله رجـلا عميـق الإيمان ، صادق المروءة ، كريم الطريق ، نبيل المقصد .

الأمير : أجل والله لقد كان كذلك .. عفراء .. لقـد اسـتودعنى تمـام أمانـة وقد حان موعد ردها .

عفراء : أية أمانة يا مولاى ؟

الأمير : قد كان يملك قطعة صغيرة من أرض باعها ، ثم هو قد طلب إلىّ أن أبقى ثمنها عندى ، حتى يشترى قطعة أخرى لكم .

عفراء : الله جارك يا مولاى .. أتخادعنى عن نفسى ؟.. فلا وربك لم يكـن لتمام قطعة مـن بسـتان صغـيرة أو كبـيرة ، ولا وربـك لم يبـع تمـام شيئا ، ولا وربك ما كنت لأقبـل ثمـن زوجـى فـإنك لا تطيـق وإن

كنت الأمير أن تؤدى الثمن .

الأمير : بربك يا عفراء إلا أتحت لى هذا الخير .. فإنى لأدرى أن تماما لا يملك شيئا وإنى لأخشى عليكم عاديات الزمان ، فما ضر لو استعنتم على الزمن بى .

عفراء : إننا نحن المدينون يا مولاى ، لقد أتحت لرجلنا أن يلاقى ربه مستشهدا .. وهيهات هيهات أن نقبل ثمن الخير الذى أصاب صاحبنا .. لقد استشهد فى سبيل الله ، ولن أفسد استشهاده بمال أقبله منك .

الأمير : ولكن للزمن غدره ولا يقيل منها إلا المال .

عفراء : إن للزمن غدره ولا يقيل منها إلا الله .. وإنه معنا .

الأمير : بربك يا عفراء إلا قبلت ؟

عفراء : بربك يا مولاى إلا أقلت ؟

الأمير : لقد حملتنى من أمرى عبئا .

عفراء : حتى لا أحمل من أمرى عنتا .

الأمير : فوداعا يا عفراء .

عفراء : وداعا يا مولاى .

الراوى : **وسمعت زوج الأمير حديث زوجها .. فهى تقول له :**

الزوجة : لقد والله باركت روح زوجها فكأنما استشهد مرتين .

الأمير : لقد استشهد فى كل مرة عف فيها عن المال ، وفى كل مرة رفضت فيها الزوجة أن تقبل .

الزوجة : إلى رحمة الله يا تمام .. وأصبرك الله يا عفراء .

الأمير : وهكذا يا سامية ، لست أدرى ما أنا فاعل .

الزوجة : خبرنى يا مولاى .. ألم تقل إن له أولادا .

الأمير : بلى ، إنه ذو عيال .

الزوجة : أليس له بنات ؟

الأمير : بلى ، إن له لبنية .

الزوجة : فكم تبلغ من العمر ؟

الأمير : أظنها فى الخامسة عشرة ؟

الزوجة : لقد وجدت الطريق يا مولاى .

الأمير : فقولى بربك .

الزوجة : انتظر بعض الحين ، ثم اذهب إلى عفراء مرة أخرى .

(موسيقى)

الراوية : **وألقت الزوجة إلى زوجها برأى وجد فيه خيرا ، فهو يذهب إلى عفراء يقول به .**

الأمير : عفراء .

عفراء : مولاى .

الأمير : قدمت فى أمر وودت لو أجبتنى فيه .

عفراء : إن كان فى الطوق يا مولاى .

الأمير : هو رجاء .

عفراء : بل أمر مولاى ... إن استطعت .

الأمير : إننى أخطب إليك ابنتك .

عفراء : ابنتى ؟

الأمير : أجل ابنتك سعاد .

عفراء : ولابن من الخطبة يا مولاى ؟

الأمير : لابن أخى الأمير شهاب .

عفراء : أما ذا فنعم يا مولاى .. أما هذا الرجاء يا مولاى فإنى أجيبه على شرط .

الأمير : وما هو ؟

عفراء : أن يكون الأمير شهاب قد طلب هذا الزواج ، لأنه يريد ابنتى لا لأنك أرغمته عليه .

الأمير : وأقسم ما أرغمته .

عفراء : وإنى قبلته يا مولاى .

الأمير : لقد قبلت يا سامية .

الزوجة : وهكذا يا مولاى أتاح الله لك أن تمد يد العون إلى عائلة صديقك من غير أن تظهر هذه اليد ، فهى ملفوفة فى غشاء كريم من الكتمان . ستعطى المال لابن أخيك وابن أخيك يقوم بشأن الأسرة فى ستار الخير .

(موسيقى)

الراوية : **كم هى رائعة تلك المثل يضربها الأولون .. فإنهم ليجزعون اليوم عن الجهاد إلى الهدوء .. وإنهم ليجزعون من الموت إلى الحياة ، وإنهم ليجدون إكرام الميت فى النواح الكاذب . حتى إذا استعصت الدمعة وأراد الجرح أن يندمل استأجروا أو استأجرن النائحات لتمزقن الجراح وليهتكن على الميت حرمته .. وإنهم ليجحدون الصداقة وينكرون الود .. وإنهم ليمنعون الخير ، فإن بذلوه استردوه بالمن الكاذب وبالتظاهر المتكبر .. لو أنهم ألقوا ناظرهم إلى أمجاد آبائهم .. لهدأت نفس لهم تثور إلى الشر ، ولأقامت أخلاقهم على الطريق القويم . نظرة إلى الماضى ..**

(انتهى)

مؤلفات الأستاذ ثروت أباظة

- ثم تشرق الشمس
- لقاء هناك
- هارب من الأيام
- جذور فى الهواء
- أمواج ولا شاطئ
- الغفران
- خشوع
- بريق فى السحاب
- لمحات من حياتى
- طارق من السماء
- القصة فى الشعر العربى
- خواطر

- ذكريات طه حسين
- ذكريات لا مذكرات
- وبالحق نزل
- السرد القصصى فى القرآن الكريم
- الضباب
- قصر على النيل
- ابن عمار
- جداول بلا ماء

رقم الإيداع : ٢٠٠١/٧٤٧٤
الترقيم الدولى : I.S.B.N. 977 - 11 - 1411 - 5

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

الناشر
مكتبة مصر
سعيد جودة السحار وشركاه
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة
ت: ٥٩٠٨٩٢٠

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه